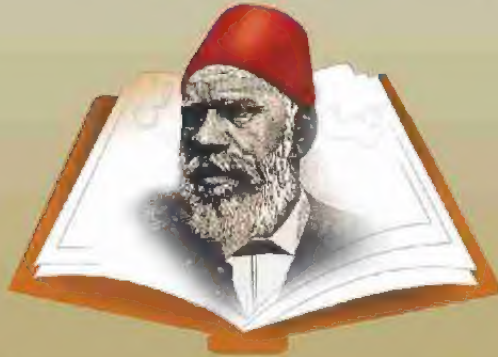


على مبارك

رائد النهضة التعليمية

١٨٩٣ - ١٨٢٣

للمصف السادس الابتدائي



العام الدراسي ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ م

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم والتعليم الفني



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفني
الإدارة المركزية
لشئون الكتب

على مبارك

رائد النهضة الحديثة

١٨٩٣-١٨٢٣

للمصف السادس الابتدائي



تأليف

محمد صلاح فرج



غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم والتعليم الفني



تقديم

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم.. وبعد...

ففى حياة كل أمة علماء بارزون، وقادة موهوبون، وأنبياء مبدعون، ومصلحون مشهورون، ممن أعدهم الله ليكونوا قدوة طيبة، ومصلحاً منيراً لكل من ينشد حياة طيبة آمنة لنفسه، ورقياً وازدهاراً لوطنه وأمته، ويسرنا أن نقدم لأبنائنا - تلاميذ الصف السادس الابتدائى - كتاباً تضىء صفحاته يسيرة ابن بار من أبناء مصر العربية، وعلم بارز من أعلام نهضتها الحديثة، ورائد مخلص فى مجال العلم والتعليم، ألا وهو (على مبارك) الذى علش حياة حافلة بالعمل الجاد، غير عابى بما يصادفه من عقبات، عطاؤه متجدد على مر الزمان، تقدمه لأبنائنا ليكون لهم مثلاً أعلى فى قوة الإرادة، وصلابة العزيمة، والسعى الجاد من أجل تحقيق الهدف الأسمى، والمستقبل المنشود.

والحق أن على مبارك شخصية جديرة بالدراسة فقد اجتمعت فيه مقومات قل أن تجتمع لسواء وتوافرت له صفات لا توجد إلا فى العباقرة الأفاضل.

وقد تم إعداد هذه الطبعة المدرسية إعداداً تربوياً يلائم المرحلة العمرية للتلاميذ من حيث سهولة الأسلوب، ووضوح الأفكار، وبيان معاني المفردات.

وقد جاء الكتاب في ثمانية فصول مقسمة على فصلين دراسيين، ويعقب كل فصل عدد من التدريبات المتنوعة، وعلى مستويات متدرجة، تقيس الفروق القربية، وتنطلق بالتلميذ إلى التفكير والمناقشة، وتعميق المهارات اللغوية، وقياس القدرات العقلية، كما حرصنا على أن تكتمل الفائدة بوضع تدريبات شاملة في نهاية الكتاب لتكون عوناً لأبنائنا على فهم واستيعاب ما سبقت لهم دراسته.

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب للتلاميذ الصف السادس نرجو الله أن يكون محققاً لما سعيينا من أجله بإعداد جيل قوى قادر على التفكير والعمل، يستطيع مواجهة التحديات، وتجاوز العقبات، حتى يرقى بنفسه ووطنه إلى ما فيه الخير والتقدم والازدهار.

والله من وراء القصد، وهو الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

مستشار اللغة العربية سابقاً

محمد البدوي أحمد القرشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه صورة مشرقة لحياة بطل عظيم من أبطال مصر، قائد شعبه نحو النور والتقدم، وتحمل في سبيل ذلك مشاق ومتاعب لا يتحملها كثير من الناس، ومضى يشق الصخر باظافره الحادة، ويدفع بصدرة العوائق التي تصده، حتى استقام له ما أراد، واستوى على قمته. ولم يكن له من سلاح إلا سلاح العلم تسلح به ثم نشره بين أبناء الشعب وصبر على ذلك حتى ظهرت ثمار ذلك نهضة حديثة عممت أرجاء البلاد، وآتت أكلها في كل مكان واستحق بذلك أن يكون رائد النهضة الحديثة في مصر الغالية.

وبالله التوفيق...

المؤلف

الفصل الأول

عائلة المشايخ

فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْكَبِيرِ كَانَ الْحُكَّامُ يَفْرَضُونَ
الضَّرَائِبَ ^(١) الْبَاهِظَةَ ^(٢) عَلَى الْفَلَاحِينَ، وَمَنْ ^(٣) يَتَأَخَّرُ
عَنْ تَسْيِيدِ هَذِهِ الضَّرَائِبِ يُجْلَدُ وَيُهَانَ ^(٤)، وَيُلْقَى بِهِ فِي
السَّجْنِ.

وَكَانَ الْفَلَاحُونَ الْفُقَرَاءُ الْعَاجِزُونَ عَنْ دَفْعِ
الضَّرَائِبِ يَفْرُونَ مِنْ بِلَدِهِمْ تَارِكِينَ أَرْضَهُمْ خَوْفًا مِنْ
الْجَلْدِ وَالسَّجْنِ وَيَنْهَبُونَ إِلَى بَلَدٍ لَا يَعْرِفُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ،
وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ يَدُ الْحَاكِمِ الظَّالِمِ.

(١) الضرائب: مفردها: الضريبة وهي: ما يفرض على الأملاك والعمل والدخل للدولة.

(٢) الباهظة: الشاقة.

(٣) من: اسم موصول بمعنى الذي.

(٤) يهان: يذل.

وَفِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مُدِيرَةِ الدَّقْهَلِيَّةِ، تُسَمَّى «بِرَنْبَالِ
الْجَدِيدَةِ» اسْتَقَرَّتْ فِيهَا أُسْرَةٌ عَلَى مُبَارَكٍ بَعْدَ فِرَارِهَا
مِنْ قَرِيبَتِهَا الْأُولَى «الْكُومِ وَالْخَلِيجِ» عَلَى بَحْرِ
طَنَاجٍ، وَقَدْ طَابَتِ الْحَيَاةُ لِأُسْرَةٍ عَلَى مُبَارَكٍ فِي
«مَقَرِّهَا الْجَدِيدِ» وَكَثُرَ عَدَدُهَا حَتَّى قَارَبُوا الْمِائَتَيْنِ،
وَعُرِفُوا بِاسْمِ عَائِلَةِ الْمَشَايخِ فَقَدْ كَانَ فِيهِمُ الْمَشَايخُ
الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ وَشَيْئًا مِنَ
الْعِلْمِ النَّيْنِيِّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْقُرَى.

وَكَانَ مِنْهُمْ الْقَضَاءُ النَّيْنِ يَحْكُمُونَ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ..

وَالْأَيْمَةُ النَّيْنِ يُصَلُّونَ بِالنَّاسِ الصَّلَوَاتِ..

وَيَخْطُبُونَ لَهُمُ الْجُمُعَ وَالْأَعْيَادَ..

وَمَنْ يَعْقِدُونَ لَهُمُ عُقُودَ الزَّوْاجِ..

لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ كَانَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ مَحَلَّ احْتِرَامٍ كَبِيرٍ
مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ..

كَمَا كَانَتْ مَحَلَّ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الْحُكُومَةِ.

لِذَلِكَ أَعْطَتْهَا الْحُكُومَةُ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ تَزْرَعُهَا
وَتَنْتَفِعُ بِغُلَّتِهَا^(١)، وَتَسْتَعِينُ بِهَا فِي آدَاءِ الْأَعْمَالِ
الْخَيْرِيَّةِ الَّتِي تَقْدِّمُهَا لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ..

وَزِيَادَةً فِي تَقْدِيرِ الْحُكُومَةِ لَهَا أَعْفَتْهَا مِنْ جَمِيعِ
الضَّرَائِبِ..

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلِدَ لِرَبِّ الْأُسْرَةِ^(٢) الشَّيْخُ مَبَارَكٌ
وَلَدٌ سَمَّاهُ عَلِيًّا، كَانَ لِمِيلَادِهِ فَرَحَةٌ كَبِيرَةٌ فِي الْقَرْيَةِ
كُلُّهَا، مُجَامَلَةً لِأَبِيهِ الشَّهْمِ^(٣) الْعَطُوفِ، الَّذِي يَخْدُمُ أَهْلَ
الْقَرْيَةِ، وَمُجَامَلَةً لِأُمِّهِ الْكَرِيمَةِ النَّقِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي
عَامِ ١٨٢٣ م - ١٢٣٩ هـ.

(١) الغلَّة: ما تنتجه الأرض. والجمع: غلات وغلالات.

(٢) رب الأسرة: عائنها ومدير شؤونها. والجمع: أرباب.

(٣) الشهم: النبيل الصبور. والجمع: شهايم.



الشيخ مبارك والد علي وأسرته
وهم يرحلون إلى قرية أخرى هرباً من الضرائب

وَقَضَتِ الْقَرْيَةُ كُلَّهَا أَيَّامًا سَعِيدَةً، تَزُفُ فِيهَا التَّهْنِئَةُ
الْخَالِصَةُ لِهَذِهِ الْأُسْرَةِ الْمَحْبُوبَةِ، رَاجِيَةً أَنْ يَكُونَ
الْوَلِيدُ قُرَّةَ عَيْنٍ^(١) لَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَبَشِيرَ خَيْرٍ لِأُسْرَتِهِ
وَلِلْقَرْيَةِ جَمِيعِهَا.

لَكِنَّ هَذِهِ الْفَرَحَةَ لَمْ تَدُمْ طَوِيلًا، فَقَدْ زَانَتْ الْحُكُومَةُ
الضَّرَائِبَ زِيَادَةً كَبِيرَةً وَضَجَّ^(٢) النَّاسُ وَعَجَزُوا عَنْ
الدَّفْعِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَالٌ يَدْفَعُونَهُ لِهَؤُلَاءِ الْحُكَّامِ
الَّذِينَ لَا يَشْبَعُونَ مِنَ الْمَالِ.

وَلَمْ تَنْجُ أُسْرَةُ الشَّيْخِ مُبَارَكٍ مِنْ هَذِهِ الضَّرَائِبِ فَقَدْ
فَرَضَتِ الْحُكُومَةُ الضَّرَائِبَ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي
تَحْتَ يَدَيْهِ، بِمَا فِيهَا الْأَرْضُ الَّتِي كَانَتْ الدَّوْلَةُ قَدْ
أَعْطَتْهَا لَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

وَزَادَ الْأَمْرُ سُوءًا حِينَ أُجْبِرَتْهُ - مِثْلَ غَيْرِهِ مِنْ
النَّاسِ - عَلَى قَبُولِ قِطْعَةٍ أَرْضٍ أُخْرَى قَرَّ مِنْهَا

(١) قُرَّةُ عَيْنٍ. مَسْرُورَةٌ.

(٢) ضَجَّ: صَاخَ.

أصحابُها، وتركوها بما عليها من الثيُون المتأخّرة
التي عَجَزُوا عن سَدَائِهَا، وأوجبت عليه أن يؤدّي
جميع تلك الثيُون سريعاً.

وأمام العذاب الذي ينزل بمن لا يسدّدون أو
يتأخّرون عن السداد، اضطرّ^(١) الشيخ مبارك أن يبيع
كل ما يملك حتّى أثاث المنزل، لكنّ ذلك كلّهُ لم يَفِ
بالضرائب، فماذا يعمل وأبواب السُّجون مفتوحة
على مصاريعها^(٢)؟

لم يبقَ أمام الشيخ الكريم، إلا أن يصنع ما صنع
أجدادُهُ، حين قرّوا من قرية «الكوم والخليج»، ولم
يتمهّل واستتَرَ بالليل وظلامه الشديد، وسارَ بأهله،
تاركاً قريته ومُديرته كلّها، مبتعداً عنها متجّها إلى
ناحية الشرق وكانَ عُمرُ علي مبارك في هذا الوقتِ
نحو سِتِّ سنوات.

(١) اضطر: لجأ.

(٢) مصاريغ: جمع مصراع، وهو لحدّ جزأى الباب، الأيمن أو الأيسر.

وَكَلَّمَا وَجَدَ الشَّيْخُ مُبَارَكَ أَهْلِ الْمَكَانِ الَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ
يَشْعُرُونَ بِالْقَلْقِ، غَادِرُهُ مُسْرِعًا إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى بَلَغَ
مَدِيرَةَ الشَّرْقِيَّةِ، وَأَبْعَدَ الْمَسِيرَ^(١) فِيهَا وَانْتَهَى الرَّحِيلُ
بِهِ إِلَى بَدْوٍ فِي الصَّحْرَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْقَرْيِ، يَرْعَوْنَ
الْأَغْنَامَ وَيَسْكُنُونَ خِيَامَ الشَّعْرِ، يُسَمَّوْنَ «عَرَبِ
السَّمَاعِنَةِ».

فَارْتَاحَ لَهُمْ، وَنَزَلَ بَيْنَهُمْ، وَسُرَّ بِهِمْ لِشَهَامَتِهِمْ
وَكَرَمِهِمْ، وَسُرُّوا بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا فِيهِ الرَّجُلَ الَّذِي
كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ، فَقَدْ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْ فَقِيهِ
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَنُبَاتِهِمْ، وَكَانَ الشَّيْخُ
مُبَارَكَ رَجُلًا صَالِحًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ فَأَحْبَبُوهُ حُبًّا
شَدِيدًا، وَبَنَوْا لَهُ جَامِعًا وَجَعَلُوهُ إِمَامًا لَهُمْ.



(١) المسير: المسير.

أسئلة الفصل الأول

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) أكمل ما يلي بالإجابات الصحيحة:

- «عائلة المشايخ» اسم أطلق على أسرة
 - تتميز عائلة المشايخ بمعرفة
 - أهم ما يحتاجه أهل القرى من علوم هو العلم
- (٢) استدل من خلال قراءتك للفصل الأول على تميز أسرة على مبارك.
- (٣) لماذا اتخذت أسرة على مبارك لها مقراً جديداً؟

(٤) صل بين الجملة في العمود (أ) وما يناسبها في

العمود (ب):

(أ) (ب)

- كان الفلاحون يفرون من بلادهم خوفاً من الكوم والخليج
- من يتأخر عن تسديد الضرائب برتبال الجديدة
- «برتبال الجديدة» إحدى قرى مديرية السجن
- قرية أسرة على مبارك الأولى هي الدقهلية
- ولد على مبارك في المقر الجديد لأسرته بقرية كفر الشيخ

يجلد

(٥) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

(أ) طابت الحياة لأسرة على مبارك في مقرها الجديد. ()

(ب) عرفت عائلة على مبارك بعائلة المشايخ. ()

(ج) لم تفرض الحكومة الضرائب على أسرة الشيخ مبارك. ()

(د) طابت الحياة لأسرة على مبارك في مقرها الجديد. ()

(٦) لماذا فرَّ الشيخ مبارك من قريته ليلاً؟

الفصل الثانی

عزّة نفس وظنوخ مبكر

ولمّا اطمأنَّ الشيخُ مُبارك إلى حَيَاتِهِ الجَدِيدَةِ عِنْدَ
عَرَبِ السَّمَاعِيَّةِ، التَفَّتْ إِلَى تَعْلِيمِ ابْنِهِ عَلِيٍّ، وَأَخَذَ يَعْلَمُهُ
بِنَفْسِهِ، لَكِنَّ مَشَاغِلَهُ الْكَثِيرَةَ لَمْ تُمَكِّنْهُ مِنْ مُوَاصَلَةِ هَذَا
التَّعْلِيمِ، فَبَحَثَ عَنْ مُعَلِّمٍ يَثِقُ فِيهِ، حَتَّى اهْتَدَى إِلَى
شَيْخٍ مُهَاجِرٍ، يَسْكُنُ قَرِيبًا مِنْ مَسَاكِينِ الْبَدْوِ، أَصْلُهُ
مِنْ «بِرْنِبَال» وَاسْمُهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ أَبُو خَضِرٍ، فَاتَّفَقَ
مَعَهُ عَلَى تَعْلِيمِ عَلِيٍّ، وَكَانَ الْكُتَّابُ بَعِيدًا عَنْ مَكَانِ إِقَامَةِ
الصَّبِيِّ.

وَحُلَّتِ الْمَشْكِلَةُ بِأَنْ يُقِيمَ الصَّبِيُّ مَعَ الشَّيْخِ فِي
بَيْتِهِ طَوَالَ الْأَسْبُوعِ، وَيَعُودَ إِلَى مَنْزِلِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،



الكتاب... والشيخ يقرئ الأولاد

كما اتَّفقا على أن يبعثَ الوالدُ إلى الشيخِ ما يكفي
الطفلَ أجرًا وإقامةً.

ودَّعه أبوه وأُمُّه وداعًا حارًّا، ونصحاهُ بالجدِّ
والاجتهادِ وبطاعةِ الشيخِ، ووعداهُ بجائزةٍ كبيرةٍ إذا
انتظمَ في تعليمِهِ، وتفوّقَ، وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ
سريعًا.

وكانتِ الأمُّ مَهمومَةً حزينَةً شديدةَ الألمِ لفراقهِ
واغترابهِ بعيدًا عنها.

لكنَّها تعرِفُ قيمةَ التعليمِ...

إنه يخلُقُ الرجالَ الأفاضِلَ.

ويحقِّقُ لصاحِبِهِ حياةَ حُرَّةٍ كريمةً.

فعادت تُصبِّرُ نفسَها، وتَسألُ اللهَ تعالى أن يَحْرُسَ
صغيرَها ويُبَعِدَ عنه الأخطارَ..



الشيخ يهوى بحصاه القليظة على أحد الأولاد والباقي ينتظرون إليه في خوف وفزع

عِنْدَمَا نَهَبَ الصَّبِيُّ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي خَضِرٍ فِي كُتَّابِهِ،
وَجَنَّةَ كَاشِرِ الْوَجْهِ، قَاسَى الطَّبْعَ، بِجَانِبِهِ عَصَا غَلِيظَةً
يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَوْلَادُ الْكُتَّابِ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ، فَمَلَكَهُ
الرُّعْبُ^(١)، ثُمَّ اِزْدَادَ مَا بِهِ مِنَ الْقَرَعِ، وَهُوَ يَرَى تِلْكَ
العَصَا تَهْوِي^(٢) عَلَى جَسَدِ بَعْضِ أَوْلَادِ الْأَوْلَادِ لِاتِّفَهِ
الْأَسْبَابِ.

فكره الشيخ، وقال لنفسه في ألم شديد:

– هل يليقُ بالمعلم أن يكونَ بمثلِ هذه القسوة؟

– وهل جئنا إلى هنا لتتعلَّم الجبنَ والخوفَ؟

وبعدَ فترةٍ أدركَ أنه يُمكنُ أن ينجُوَ من شرِّ هذه
العصا إذا اجتهدَ لِيَتِمَّ حفظ القرآن الكريم، وعندئذٍ
يَتْرُكُ الْكُتَّابَ، وَيَبْعُدُ عَنْ صَاحِبِهِ الَّذِي يَقْسُو عَلَى
تَلَامِيذِهِ بِالضَّرْبِ وَالسَّبِّ وَالْإِهَانَةِ، وَأَمْضَى سَنَتَيْنِ

(١) الرعب: الخوف.

(٢) تهوى: تسقط.

كاملتين على هذه الطريقة، أتمّ فيهما حفظ القرآن الكريم للمرة الأولى، التي تُسمّى البداية.

وكان لا بدّ له من أن يظلّ بعد ذلك مع الشيخ، ليُعِيدَ الحفظ ويثبّته، وأبوه شديد الفرح به، وإن كان لا يعلم ما فى نفسه من هذا التعليم الذى يُقاسى ويلاّته.

فلما ثقلت عليه العَصَا، رَفَضَ النّهاب إلى الشيخ، ولم يُقدّمه تهديد أبويه ولا غيره، ممّن كانوا يُريدون إرغامه على النّهاب إلى الكتّاب، فعاد أبوه يعلمه بنفسه.

ولمشاغله الكثيرة لم يستطع الإشراف الكامل عليه، فانصرَفَ إلى اللّعب، حتى نسي ما حفظ وما تعلّم، فحزن أبوه لذلك، ودعاه إليه، وقال له فى شدّة:

— من الغد يا على تذهب إلى الشيخ أبى خضر، وتواصل النّهاب إليه، لتتمّ حفظك وتعليمك!

أَسْمِعَتْ!

فانفجر الصبي صائحاً في قوة وعزم:

— وأعود مرةً أخرى إلى العصا الغليظة، والمعاملة

القاسية .

وأتعلم الخُضوع، والمنلة، والجبن!

لا، لن أعود أبداً إلى تلك الشيخ.

— بل ستعود رَغماً عنك، فلا طريق لك سوى التعليم!

وانضمَّ أحدُ إخوته إلى أبيه، يَجرُّ هذا الصبي

الجرىء المتفتِّح العقل، الشجاع الذي يعلن رأيه في

صراحة.

وتدخل الكثيرون ليُخيفوه حَتَّى يُطِيعَ ما يأمرُهُ به
أَبُوهُ، لَكِنَّهُ ظَلَّ عَازِمًا عَلَى الرَّقْضِ، وَالْحَاضِرُونَ كُلُّهُمْ
يَنْتَظِرُونَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ، وَيُوسِعَهُ ضَرْيَا، وَلَا
يَتْرَكَهُ حَتَّى يَخْضَعَ لَهُ.

لَكِنَّ الْأَبَّ الْعَاقِلَ الْحَكِيمَ، أُنْزَلَ مَا فِي نَفْسِ الصَّبِيِّ،
وَقَرَأَ مَا فِي وَجْهِهِ مِنْ عِلَامَاتِ الْقَمَرِ، فَخَافَ أَنْ
تُجِلَّهُ الشَّدَّةُ^(١) إِلَى الْهَرُوبِ، فَعَادَ إِلَى الْهُدُوءِ.

وَتَنَبَّأَ أَحَدَ إِخْوَةِ الصَّبِيِّ إِلَى تَفْتُحِهِ، وَقُوَّةِ نَفْسِهِ،
وَهَبَّ وَاقِفًا، وَتَقَدَّمَ مِنْهُ بِوَجْهِهِ بِاسْمِهِ، وَطَوَّقَهُ بِذِرَاعِهِ،
وَلَا طَفَهُ، وَقَالَ لَهُ فِي بَشَاشَةٍ:

سَنَتْرُكَ لَكَ الْحَرِيَّةَ يَا صَبِيْقِي، فِي اخْتِيَارِ طَرِيقِكَ
إِلَى مُسْتَقْبَلِكَ، فَمَاذَا تَرَى أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، لِتَصْبِيحَ
بَعْدَمَا تَكْبُرُ رَجُلًا مُحْتَرَمًا؟

(١) تلجله الشدة: تدفعه.

فأسرع الصبي في شجاعة:

– أحبُّ أن أكون كاتبًا، مثل تلك الرجل، الذي رأيتُه
يعملُ عندَ موظفٍ كبيرٍ، أعجبنى شكلُهُ، وسررتني
ملابسُهُ، ورأيتُ الناسَ يهابونه، ويحترمونه.

فصاح أبوه مسرعًا:

– اطمئنْ يا ولدي، فسوف نَحققُ لك رَغبتَكَ، ما
دامت توافِقُ هواكَ.

وأسرع به إلى صديق له، من الكُتَّاب^(١) الذين
يكتبون للناسِ شكاواهم وعقوباتهم وغيرها، ورجاه أن
يُعَلِّمه ويربيّه، ويأخذه معه في منزله، ويجعله واحدًا
من أولاده، وينفع له هو ما يُقابلُ نلَكَ من المَالِ.

(١) الكُتَّاب: مفردها: الكاتب وهو من يتخذ الكتابة حرفة ومهنة..

وسُرَّ الصَّبِيُّ كَثِيرًا حِينَ نَهَبَ إِلَى نَلَكِ الْكَاتِبِ،
وَرَأَى ثِيَابَهُ النَّظِيفَةَ، وَمَلَابِسَهُ الْحَسَنَةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ
لِنَفْسِهِ فِي قَرَحٍ شَدِيدٍ:

– بَلَغْتَ يَا عَلِيُّ مَا كُنْتَ تَتَمَنَّى!

هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي كُنْتَ تَحْلُمُ بِهِ، وَسَوْفَ تَتَعَلَّمُ
فِيهِ أَحْسَنَ تَعْلِيمٍ، وَتُقِيمُ أَحْسَنَ إِقَامَةٍ، مَعَ هَذَا الرَّجُلِ
الظَّرِيفِ النَّظِيفِ الْعُطُوفِ، الَّذِي لَا يَضْرِبُ، وَلَا يَشْتُمُ،
وَلَا يُؤْذِي، وَلَنْ يَحْرِمَكَ شَيْئًا مِثْلَ «الشَّيْخِ أَبُو خَضَرَ»!

لَكِنَّ ظَنَّهُ كَانَ خَاطِئًا، فَقَدْ غَرَّهُ الْمُظْهَرُّ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا
وَرَاءَهُ، فَسَرِيعًا مَا ظَهَرَتْ لَهُ الْحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ، فَلَمْ يَجِدْ
فِي بَيْتِ هَذَا الرَّجُلِ الْهُدُوءَ الَّذِي كَانَ يُشْهُدُهُ^(١).

وَوَجَدَهُ يَمْوُجُ بِالضَّجَّةِ، لكَثْرَةِ عِيَالِ الرَّجُلِ مِنْ
زَوْجَاتِهِ الثَّلَاثِ، ثُمَّ وَجَدَهُ يَقْتَرُ^(٢) عَلَيْهِ فِي الطَّعَامِ،

(١) يَشْهُدُهُ. يَبْحَثُ عَنْهُ

(٢) يَقْتَرُ: يَضِيقُ وَيَبْخُلُ.

فَلَا يُعْطِيهِ مَا يُشْبِعُهُ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ اللَّيَالِي يَحْرُمُهُ مِنْهُ
فَيَبِيتُ جَائِعًا.

فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الْعَمَلِ أَخَذَهُ مَعَهُ، لَا لِيَعْلَمَهُ بَل لِيَتَّخِذَهُ
خَادِمًا يَخْلُمُهُ، مَعَ إِهَانَتِهِ.

فَلَمْ يُطِقْ هَذَا الْجَوَّ الْكَثِيبَ، وَعَادَ إِلَى أَبِيهِ يَشْكُو إِلَيْهِ
هَذَا الْكَاتِبِ الْمَعْلَمَ الَّذِي يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَفِيدُ شَيْئًا مِنْهُ.

فَقَابَلَ أَبُوهُ شَكْوَاهُ بِالْغَضَبِ الشَّدِيدِ مِنْهُ، وَصَاحَ
فِيهِ قَائِلًا:

— اخْضَعْ^(١) يَا وَلَدُ وَتَأَدَّبْ وَلَا تَقُلْ هَذَا عَنْ مَعْلَمِكَ !
إِنَّهُ يَعْلَمُكَ وَيُرْشِدُكَ.

— لَكِنَّهُ يَا أَبِي لَا يُرْشِدُنِي، وَلَا يَعْلَمُنِي حَرْقًا وَلَا
غَيْرَهُ، بَلْ يُؤْذِنِي وَيُجِيعُنِي، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى هَذِهِ

الْحَالِ؟!

(١) اخْضَعْ: اخضع.



على مبارك وهو يظهر لوالده آثار الشرب على كتفه

ولماذا أَكْذِبُ وقد اخترتُ بِنَفْسِي هذا الطريقَ، الذي
ظننتُ أنه سيجعلُنِي إنسانًا مُحترمًا؟

وفات الشيخُ مباركا، أن يقرأ ما في وجهِ صغيره،
كما قرأه في المرّة السابِقة، ليتبيّن ما فيه من العزمِ
على أمرٍ خطيرٍ، ويعرف أن الشّدّة لا تُفيدُ، وأنه كان
يُنَبِّغِي أن يَرِقَّ مع ابنه، حتى لا يزيده كراهة لما هو
فيه، ويدفعه إلى شيءٍ لا يُحِبُّه.

وكانَ الشيخُ مُباركٌ والأسرةُ كُلُّها، في حيرةٍ شديدةٍ
من أمرِ هذا الصَّبِيِّ، ثم رأوا أخيرا أن يعرضُوا عليه
التعليمَ مرّةً أخرى باللين، مادامت الشّدّة لا تُفيدُ معه.
فلما عرضوا عليه التعليمَ برِقّةٍ، صَاحَ في مَرارةٍ:

– صدّقوني أيّها الناس! لا فائدةَ من تعليمي بهذا
الشَّكْلِ، فلم أستفِدْ من المعلمِ الأوّلِ، ولم ألقِ سوى
الضربِ، والإهانةِ.

ولم أَسْتَقِدْ من الكاتبِ ولم أشعرِ إلا بالضياءِ،
والإذلالِ، وتشغيلي خاسمًا حقيرًا^(١).

فهل بعدَ نلِكَ تعرضُونَ عَلَيَّ نلِكَ التعلِيمِ؟!

قال أبوه وصدره مملوءٌ بالهَمِّ والحُزَنِ:

– وما رأيكَ يا عَلِيٌّ في أنْ تَعْمَلَ مع كاتبٍ من الكُتَّابِ،
الذين يقيسونَ الأراضِي للفلاحين، يُعَلِّمُكَ قياسَ
الأراضِي وتوزيعها، ونلِكَ عملٌ نظيفٌ مُريحٌ؟

قال الصَّبِيُّ في اعتزازٍ بنفسِهِ:

– أُجَرِّبُ يا وَالِدِي هذَا العَمَلَ أَوَّلًا، فإذا أعجَبَنِي، وإلا
بَحِثْتُ عن عملٍ آخَرَ يُعجِبُنِي، وَيُرْضِي نَفْسِي فإِنِّي أودُّ
أنْ أَكُونَ من الكُبرَاءِ، ولن أَرْضَى بغيرِ نلِكَ أبدًا أبدًا!



(١) حقيرًا: نليلاً، والجمع: حقار.

أسئلة الفصل الثاني

أجب عن الأسئلة التالية:

(١) ما المشكلة التي واجهت الصبي عند التحاقه بالكتاب؟

(٢) لِمَ لمَ يَقم الوالد بتعليم ابنه بنفسه؟

(٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

■ كان الشيخ أحمد أبو خضر يسكن قريئاً من مساكن البدو.

()

■ هدد الشيخ مبارك ابنه علياً بالضرب إذا لم يحفظ القرآن.

()

■ كنت أم علي مبارك سعيدة حين ذهب ولدها إلى الكتاب.

()

■ دعت الأم ربها أن يحرس صغيرها، ويبعد عنه الأخطار.

()

■ كان الشيخ أحمد أبو خضر مبتسماً دائماً.

()

- (٤) ما مصدر فزع الصبي وخوفه من الشيخ؟
(٥) ما شعور الصبي نحو شيخه؟ وكيف عبر عن تلك الشعور؟

(٦) ماذا تفعل لو:

- تعرضت لما تعرض له الصبي في كتاب أبي خضر؟
(٧) هل يتفق ما يفعله الشيخ أبو خضر مع النظريات التربوية الحديثة؟ ولماذا؟

(٨) رتب الفكر الآتية حسب حدوثها بكتابة الأرقام في الأقواس:

- () أقامت أسرة علي مبارك مع بدو «عرب السماعنة».
■ () حفظ علي مبارك القرآن الكريم للمرة الأولى في كتاب «أبي خضر».
■ () استقرت أسرة علي مبارك في قرية «برنيال الجديدة».
■ () ولد للشيخ مبارك ولد سماه عليًا.
■ () رفض علي مبارك الذهاب إلى الكتاب رغم تهديد أبيه.

- (٩) ما الذي أدركه الأب العاقل الحكيم؟
(١٠) تبين أحداث الفصل الطرق التربوية في تعليم الأبناء. وضح تلك.

(١١) لم خير الأب ابنه في تحديد مستقبله؟

(١٢) علل لما يأتي:

■ اختيار الصبي أن يكون كاتبًا.

■ رفض الصبي الذهاب إلى الكتاب.

(١٣) يقسم المعلم الفصل إلى أربع مجموعات لكتابة تعليق

لايزيد على ثلاثة أسطر:

– المجموعة الأولى: تكتب تعليقًا على تصرف الحكام في

عهد محمد علي.

المجموعة الثانية: تكتب تعليقًا على طريقة الآباء في

تعليم الأبناء.

– المجموعة الثالثة: تكتب تعليقًا عن طريقة التعليم.

– المجموعة الرابعة: تكتب تعليقًا عن الكاتب المعلم.

الفصل الثالث

السَّجِينُ الْمَظْلُومُ

مَطُّ الشَّيْخِ مَبَارَكُ شَفَقَتِهِ، وَهَزُّ كِتْفَيْهِ^(١)، عَجَبًا مِنْ هَذَا الصَّغِيرِ الْعَنِيدِ، الَّذِي لَا يَرْضَى أَنْ يَفْرِضَ أَحَدٌ عَلَيْهِ رَأْيًا، وَيَأْبَى إِلَّا أَنْ يُجَرَّبَ الْعَمَلَ بِنَفْسِهِ، لِيُوَافِقَ عَلَيْهِ أَوْ لَا يُوَافِقَ، ثُمَّ نَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكَاتِبِ، وَرَجَاهُ أَنْ يَقْبَلَ ابْنَهُ تَلْمِيزًا لَهُ، فَوَافَقَ عَلَى طَلَبِهِ.

وَلَمَّا عَمِلَ الصَّبِيُّ مَعَهُ، رَضِيَ بِعَمَلِهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَى مَصَاحِبَتِهِ، فَقَدْ وَجَدَ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ الَّذِي يَبْقَعُهُ الْفَلَاخُونَ لَهُ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَمُكِّثْ طَوِيلًا مَعَهُ، وَطَرَدَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِدْمَتِهِ.

(١) مط الشفقتين مع هز الكتفين إظهار للتعجب.

لأنَّه كَانَ لصغره يتحدَّثُ إلى النَّاسِ ببساطةٍ، عما
يأخذُه الكَاتِبُ مِنَ الْفَلَّاحِينَ، وَلَا يَعْرِفُ خَطَرَ نَكَالِهِ عَلَيْهِ،
فَاغْتَاظَ الرَّجُلُ لِإِقْشَاءِ ذَلِكَ السَّرِّ الَّذِي يَضُرُّهُ.

فَلَمْ يَهْتَمْ أَبُو عَلَى لِطَرْدِ ابْنِهِ، وَعَادَ يُعَلِّمُهُ بِنَفْسِهِ،
وَكَانَ مَكْلَفًا يَجْمَعُ مَا عَلَى الْعَرَبِ^(١) مِنْ أَمْوَالٍ مَفْرُوضَةٍ
لِلدَّوْلَةِ، فَإِذَا خَرَجَ لِأَدَاءِ عَمَلِهِ أَخَذَهُ مَعَهُ، لِيَقُومَ بِكَتَابَةِ
ذَلِكَ الْمَالِ وَحَسَابِهِ.

ثُمَّ أَلْحَقَهُ بِكَاتِبٍ فِي مَأْمُورِيَّةٍ «أَبُو كَبِيرٍ» شَرْقِيَّةٍ،
بِأَجْرِ قَدْرِهِ خَمْسُونَ قَرَشًا فِي الشَّهْرِ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ طَوِيلًا فِي هَذَا الْعَمَلِ، إِذْ وَجَدَ أَنَّهُ
يَخْدُمُ هَذَا الْكَاتِبَ بِصَدَقٍ وَأَمَانَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْكُلُ عَلَيْهِ
أَجْرَهُ، وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئًا غَيْرَ الطَّعَامِ وَمَكْتَبَ عَلَى هَذَا
الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى سَاءَتْ حَالُهُ فَعَزَمَ عَلَى أَنْ
يَأْخُذَ حَقَّهُ بِالْحِيلَةِ.

(١) الْعَرَبُ: الْمَوَادُّ غَرِبَ السَّمَاعَةِ.

وذاكَ يَوْمَ بَعَثَ الرَّجُلُ لِيَقْبِضَ بَعْضَ الْمَالِ، فَقَبِضَهُ
وَأَخَذَ مِنْهُ مِقْدَارَ أَجْرِهِ، وَذَهَبَ إِلَى الْكَاتِبِ وَسَلَّمَهُ
كَيْسَ النُّقُودِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَخَذَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ قَرْشًا
قِيَمَةُ أَجْرِهِ عَنْ ثَلَاثَةِ شُهُورٍ، وَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ مُسْرِعًا
قَبْلَ أَنْ يُمْسِكَ بِهِ. فَثَارَ الْكَاتِبُ ثَوْرَةً شَنِيدَةً لِذَلِكَ
التَّصَرُّفِ الْجَرِيءِ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الصَّبِيِّ
أَشَدَّ انْتِقَامٍ.

فَنَهَبَ إِلَى الْمَأْمُورِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ، فَغَضِبَ هُوَ
الْآخَرُ وَثَارَ، وَاتَّفَقَا مَعًا عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ هَذَا الْوَلَدِ
الْجَرِيءِ الَّذِي لَا يَخَافُ أَحَدًا.

وَفِي هَذَا الْوَقْتِ، جَاءَ إِلَى الْمَرْكَزِ طَلِبٌ مِنَ الْحُكُومَةِ،
بِاخْتِيَارِ بَعْضِ الشَّبَابِ لِلخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، فَانْتَهَزَ
الْمَأْمُورُ الْفُرْصَةَ، وَدَعَا الْفَتَى إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ فِي هُدُوءٍ:

~ تَعَلَّمْ يَا عَلِيُّ أَنَّنِي مُسْرُورٌ مِنْكَ كَثِيرًا، وَلَا أَتَّقِي فِي
أَحَدٍ غَيْرِكَ يَقُومُ بِالْأَعْمَالِ الْمُهْمَةِ.

– نَعَمْ يَا سَيِّدِي، وَأَشْكُرُكَ كُلَّ الشَّكْرِ، عَلَى هَذِهِ الثُّقَةِ
الَّتِي أَعْتَزُّ بِهَا.

– تَذْهَبُ إِلَى السَّجْنِ مُسْرِعًا تُسَجِّلُ أَسْمَاءَ مَنْ فِيهِ،
فَمَطْلُوبٌ مِنَّا اخْتِيَارُ بَعْضِ الشَّبَابِ لِلخِزْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ،
وَعَسَى أَنْ نَجِدَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا.

وَجَازَتْ الْحِيلَةُ^(١) عَلَى الْوَلَدِ الطَّيِّبِ الْمُسْكِينِ، وَنَهَبَ
مُسْرِعًا، إِلَى السَّجْنِ، فَإِذَا بِرِجَالِ الْمَأْمُورِ يُحِيطُونَ
بِهِ، وَيَضْعُونَ فِي رَقَبَتِهِ قِيدًا مِنْ حَلِيدٍ، وَيُلْقَوْنَهُ فِي
السَّجْنِ الْمَظْلَمِ، لِيُظَلَّ فِيهِ عَشْرِينَ يَوْمًا، بَيْنَ الْقَانُورَاتِ،
وَالْأَوْسَاحِ، وَالْخُوفِ، وَالْبُكَاءِ.

وَقَدْ كَانَ السَّجَّانُ طَيِّبَ الْقَلْبِ عَطُوفًا، فَاشْتَدَّ أَلَمُهُ
لِمَا حَدَّثَ لِلْفَتَى الصَّغِيرِ السُّنِّيِّ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَصْنَعَ
شَيْئًا يُنْقِذَهُ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ.

(١) جازت الحيلة عليه: انخدع بها.

وَذَاتِ يَوْمٍ أَقْبَلَ عَلَىٰ تِلْكَ السَّجَانِ صَدِيقٌ لَهُ ، يَعْمَلُ
عند مأمورٍ لزراعة القطنِ ، وأثناء الحديث أخبره ذلك
الصديق بأن سيده المأمور في حاجةٍ إلى كاتبٍ يجيدُ
الكتابةَ والحسابَ ، ففرح السجانُ بما يُمكنُ أن يؤتِيه
مِنْ خَيْرٍ لذلك الفتى ، وقال لصاحبه على الفور :

- وَجَدْتُ مَا تَطْلُبُ يَا صَدِيقِي ، فعندنا في السجنِ
فتى أمينٌ مظلومٌ ، جَيِّدُ الْخَطِّ ، بَارِعٌ فِي الْحِسَابِ ،
وَأَرَاهُ يَنْفَعُ مَأْمُورَكَ ، فهل يُمكنك أن تَسْعَى لَهُ فِي تِلْكَ
الوظيفةِ لوجهِ الله تعالى ؟

فطلبَ منه صديقه أن يكتبَ الفتى شيئاً ، يأخذه معه
ويعرضه على سيِّده ، فكتبَ على بعضِ العباراتِ
الرقيقةَ على ورقةٍ نظيفةٍ ، بخطٍّ جميلٍ ، أخذَهَا الخادمُ ،
وعادَ بِهَا مُسْرِعاً إِلَى سيِّده ، فلَمَّا قرأَهَا سُرَّ بِهَا سُرُوراً
كبيراً ، ووافقَ على تعيينِ صاحبِهَا فِي الوظيفةِ الْخَالِيَةِ .

وبعد قليل عاد الخادم إلى السجن، ومعه أمر بالإفراج
عن علي، فأفرج عنه، فأخذ الخادم بيده، وانطلق به
مُسرعًا إلى مأموره «عنبر أفندي» وأدخله عليه.

فحائثه المأمور طويلاً، واطمأن إلى عقله وإدراكه،
وقدرته على العمل الذي سيتولاه، وعرض عليه الراتب
الذي سيأخذه، وهو خمسة وسبعون قرشاً في الشهر،
فقبله شاكرًا، وتسلم عمله، ثم انصرف ليعود إليه في
صباح الغد.

وازداد علي قناعةً بالعلم، وضرورة تحصيله، فقد
أخرجته العلم من السجن وظلماته.

وهنا نسج علي خيوط مستقبله، ليكون على الأقل
مثل مأمور الزراعة «عنبر أفندي».



أسئلة الفصل الثالث

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) ما سبب دهشة الشيخ وعجبه من ابنه علي؟
(٢) وضح الصفات التي أعجبتك في الصبي من خلال فهمك لأحداث الفصل.

(٣) يعتز الصبي بنفسه، ويعتد بكرامته. وضح ذلك.

(٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

- عرض الشيخ مبارك على ابنه أن يتعلم قياس الأراضى فوافق على الفور. ()
 - طرد الكاتب علياً بعد أربعة أشهر من خدمته. ()
 - كان علي يفشى سر الكاتب الذي كان يعمل معه. ()
 - التحق علي مبارك بكاتب في مأمورية «أبوكبير». ()
 - مأمورية «أبوكبير» تقع في محافظة الدقهلية. ()
- (٥) بم علل «علي مبارك» عدم استمراره في العمل مع الكاتب؟

(٦) وضح الحيلة التي أخذ علي بها حقه، مبيناً رأيك.

(٧) لخص وسيلة انتقام الكاتب من علي مبارك في حوالى

أربعة أسطر.

(٨) اذكر أهم الفكر التى تضمنها الفصل.

(٩) أكمل:

■ رق الشيخ مبارك مع ابنه وعرف أن الشدة

■ لم يمكث على فى عمله مع الكاتب إلا .

■ كان على مبارك يعمل فى مأمورية «أبو كبير» بأجر قدره

الفصل الرابع

سرّ غامض

عندما دخل الفتى على «عنبر أفندي»، رآه جالساً في عظمة وأبهة، أمامه كثير من الأعيان، والحُكّام، والأغنياء، يقفون في خشوع، ويتكلمون بأصوات خافتة، ويستمعون إلى الأوامر التي يلقيها ذلك المأمور عليهم في إصغاء شديد، فاشتدت لهشته لما يرى وما يسمع، وجعل يقول لنفسه في عجب:

— كيف يقف هؤلاء الكبار أمام هذا الرجل، خاضعين لأمره، وهم أصحاب القصور، والخدم، والحشم^(١)، والعبيد، والناس يهابونهم، ولا يعصون لهم أمراً!!

(١) حشم المرء: خاصته الذين يقضون لغضبه، من أهل أو جيرة أو خدم.

مَا سِرُّ عَظْمَةِ هَذَا الرَّجُلِ؟ وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَى هَذَا
الْمَنْصَبِ الْخَطِيرِ وَهُوَ غَيْرُ تَرْكِي، وَلَمْ يَعِدْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
وَلِيَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ الْأَتْرَاكِ؟!

وَمَاذَا أَكْسَبَهُ ذَلِكَ الْجَلَالَ، الَّذِي يَخْضَعُ لَهُ كِبَارُ
النَّاسِ وَيَجْعَلُهُمْ يَقْبَلُونَ يَدَهُ فِي أُنْبٍ، وَلَا يَخَالِفُونَ لَهُ
رَأْيًا، وَلَا يَعْتَرِضُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ؟!

لَمْ نَرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ، وَمَا نَعْرِفُ
الْحُكَّامَ إِلَّا مِنَ الْأَتْرَاكِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ سِرِّ هَذَا
الْجَلَالِ وَتِلْكَ الْعَظْمَةِ!

وَلَمَّا كَانَتْ هِمَّةٌ^(١) عَلَىَّ فِي أَنْ يَحْيَا حَيَاةً كَرِيمَةً لَا نُلَّ
فِيهَا وَلَا مَهَانَةٌ.

جَعَلَ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ السِّرِّ، فَوَجَدَهُمْ
لَا يَعْرِفُونَهُ، وَمِنْهُمْ أَبُوهُ الَّذِي أَجَابَهُ إجاباتٍ لَمْ تُرْضِهِ،

(١) همة: العزم القوي، والجمع: همم.

فَاتَّجَهَ إِلَى أَكْثَرِ النَّاسِ اخْتِكَامًا بِالْمَأْمُورِ وَهُوَ فَرَّاشُهُ،
وَسَأَلَهُ عَنْ نَزْكَ السَّرِّ.

فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ هَذَا الْمَأْمُورَ دَخَلَ مَدْرَسَةَ «قَصْرِ
الْعَيْنَى» بَعْدَ أَنْ تَوَسَّطَتْ لَهُ إِحْدَى سَيِّدَاتِ الْمَجْتَمَعِ
الْفَضْلِيَّاتِ.

كَمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ تِلَامِيذَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ يَتَعَلَّمُونَ فِيهَا
الْخَطَّ، وَالْحِسَابَ، وَاللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَأَنَّ
الْحُكَّامَ يُؤْخَذُونَ مِنْهَا، فَارْتَنَاحَ قَلْبِهِ، وَصَاحَ بِنَفْسِهِ
قَائِلًا فِي عَزَمٍ:

— عَرَفْتُ السَّرَّ فِي عَظْمَةٍ «عَنْبَرِ أَفَنْدَى» وَقَوَّيْتِهِ!

إِنَّهُ التَّعْلِيمُ الَّذِي يَرْفَعُ النَّاسَ وَيُعَلِّي أَعْدَارَهُمْ،
وَيُحَقِّقُ لَهُمُ الْحَيَاةَ الْحُرَّةَ الْكَرِيمَةَ.

إِنَّنِي لَا بُدَّ مِنْ نُخُولِ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، لِأَكُونُ مِنَ الْحُكَّامِ
الْكِبَارِ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى مِثْلَ «عَنْبَرِ أَفَنْدَى»!

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْفَرَاشِ وَقَالَ لَهُ فِي اهْتِمَامٍ شَدِيدٍ:
أَيَدْخُلُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْفَلَاحِيِّينَ يَا
وَالِدِي؟!

فَأَجَابَهُ الْفَرَاشُ، وَهُوَ يَهْزُ رَأْسَهُ قَائِلًا:

– يَدْخُلُهَا يَا بُنَيَّ صَاحِبُ الْوَاسِطَةِ، الَّذِي يَبْتَسِمُ
الْحَظُّ لَهُ فَيَعْتُرُّ عَلَيْهَا!!

فَجَعَلَ عَلَى يَقُولٍ لِنَفْسِهِ فِي خَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ:

– وَمِنْ أَيْنَ لِي بِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ؟! شَيْءٌ بَعِيدٌ عَنْ
أَمْثَالِي!!

لَكِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ، وَأَقْدَرُ عَلَى أَنْ يُهَيِّئَ لِي نُخُولَ تِلْكَ
الْمَدْرَسَةِ، ثَوْنَ اعْتِمَادٍ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ.

وَعَادَ يَسْأَلُ الْفَرَاشَ عَنْ قَصْرِ الْعَيْنِ، وَكَيْفَ يُقِيمُ
فِيهِ مَنْ يَدْخُلُونَهُ.

فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ كُلِّ مَا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ عَنْ تِلْكَ
الْمَدْرَسَةِ، مِنْ مَكَانِهَا، وَالطَّرِيقِ إِلَيْهَا، وَالْمَسَافَاتِ
الَّتِي يَقْطَعُهَا قَاصِدًا إِيَّاهَا، وَأَسْمَاءِ الْبِلَادِ الَّتِي يَمُرُّ
بِهَا.. فَبَدَأَ كُلُّ تِلْكَ فِي وَرَقَةٍ نَسَّهَا^(١) فِي جَيْبِهِ.

ثُمَّ انْصَحَتْ إِلَى الرَّجُلِ وَهُوَ يُثْنِي عَلَى حُسْنِ إِقَامَةِ
التَّلَامِيزِ فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، وَعَلَى طَعَامِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ،
وَإِكْرَامِهِمْ، فَزَادَهُ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَقَرَّرَ أَنْ يُسْرِعَ بِالنَّهَابِ
إِلَى هُنَاكَ، وَاشْتَدَّ عَزْمُهُ عَلَى تَرْكِ وَظِيفَتِهِ، وَالْوُصُولِ
إِلَى تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الْعَظِيمَةِ بَأَيَّةِ وَسِيلَةٍ وَأَيِّ طَرِيقٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى «عَنْبَرِ أَفَنْدِي» وَطَلَبَ مِنْهُ الْإِذْنَ لَهُ فِي
زِيَارَةِ أَهْلِهِ، لِيُعْطِيَهُ إِجَازَةً يَتِمَكَّنُ فِيهَا مِنَ النَّهَابِ إِلَى
تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ وَمَعْرِفَةِ حَالِهَا، فَأَذِنَ لَهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ
يَوْمًا.

(١) نَسَّهَا: أَخْفَاهَا.



شجرة كبيرة يجلس تحتها عدد من الأولاد وهم يكتبون بالريشة ويجوارهم الذؤاة^(١) على شاطئ النهر.

(١) الذؤاة: المحبرة وجمعها: دوى.

فَسَارَ إِلَى قَرِيَّتِهِ لِيُدَبِّرَ أَمْرَهُ، وَيُسْرِعَ بِالنَّهَابِ إِلَى
تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي سَتَجْعَلُهُ مِنَ الْعُظَمَاءِ، الَّذِينَ يَحْيُونَ
حَيَاةَ حَرَّةٍ كَرِيمَةٍ.

كَانَ الْحُطُّ يَنْتَظِرُهُ فِي الطَّرِيقِ، لِيَحَقِّقَ رَغْبَتَهُ فِي
نُخُولِ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، فَلَمْ يَكُدْ يَبْتَعدُ عَنْ «أَبُو كَبِيرٍ»،
حَتَّى التَّقَى بِصَبِيَّانٍ عِنْدَ قَرْيَةٍ «بَنَى عِيَاضٌ»، مَعَهُم
رَجُلٌ يَقُولُهُمْ، فَمَشَى مَعَهُمْ وَاخْتَلَطَ بِهِمْ، وَتَحَدَّثَ
إِلَيْهِمْ وَتَحَدَّثُوا إِلَيْهِ، فَعَرَفَ أَنَّهُمْ مِنْ تَلَامِيذِ مَدْرَسَةِ
«مَنِيَةِ الْعِزِّ» فَسُرَّ وَاسْتَبَشَرَ^(١).

وَبَعْدَ مُدَّةٍ تَعَبُوا مِنَ الْمَشْيِ، وَعَجَزُوا عَنِ السَّيْرِ،
فَجَلَسُوا تَحْتَ شَجَرَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الْكَبِيرَةِ، يَسْتَظِلُّونَ
بِظِلِّهَا، وَيَسْتَرِيحُونَ مِنَ السَّيْرِ، وَجَعَلُوا يَتَسَاءَلُونَ
بِالتَّسَائُلِ فِي الْخَطِّ، أَيُّهُمْ أَحْسَنُ كِتَابَةً؟

(١) استبشّر فرح.

فَتَسَابَقَ عَلَىٰ مَعَهُم، وَلَمَّا رَأَوْا خَطَّهُ الْجَمِيلَ، أَقْرَبُوا
لَهُ بِالسَّبْقِ.. وَقَالُوا لَهُ فِي عَجَبٍ:

– لو التَّحَقَّقْتَ بِمَكْتَبِنَا لَصِرْتَ «جاويشًا».

فَأَسْرَعَ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُولُهُمْ، وَهُوَ يَقْلُبُ وَرَقَةً عَلَىٰ
فِي يَدِهِ، قَائِلًا فِي نَهْشَةٍ كَبِيرَةٍ:

– لا، بَلْ لَكَانَ فِي رُتْبَةِ «الباش جاويش».

وَلَمَّا سَأَلَ عَلَىٰ عَنْ مَعْنَى مَا يَقُولُونَ، أَخْبَرُوهُ بِأَنَّ
«الجاويش» و«الباش جاويش»، هُم أَصْحَابُ مَكَانَةٍ
كَبِيرَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ، فَرَادَ سُورُهُ، وَبَدَتْ تِلْكَ الْمَدْرَسَةُ
أَمَامَهُ شَيْئًا عَظِيمًا يَنْبَغِي أَنْ يُسْرِعَ إِلَيْهِ، وَعَادَ الرَّجُلُ
يَقُولُ لَهُ مُشْجَعًا:

– سَيَكُونُ لَكَ يَا بُنَيَّ مُسْتَقْبَلٌ حَسَنٌ، لَوْ أَنَّكَ دَخَلْتَ
مَكْتَبَ «مِنِيَّةِ الْعِزِّ»، فَهُوَ يُوصِلُ إِلَى مَدْرَسَةِ قَصْرِ الْعَيْنِي.

وَحِينَ يَنْتَهِي بِكَ الْأَمْرُ إِلَى تِلْكَ الْمُرْسَةِ وَمَا بَعْدَهَا
مِنْ مَدَارِسَ عَالِيَةٍ، سَتُصْبِحُ رَجُلًا عَظِيمًا جَدًّا.

وَسَتَكُونُ نَفَقَتُكَ كُلُّهَا فِي تِلْكَ الْمَدَارِسِ عَلَى حِسَابِ
الدَّوْلَةِ، تَأْكُلُ وَتَشْرِبُ، وَتَلْبَسُ، وَتَأْخُذُ مَعَ ذَلِكَ مَصْرُوفًا
شَهْرِيًّا تُنْفِقُهُ كَمَا تَشَاءُ.

فَلْيَقْ قَلْبُ عَلَى الْفَرَحِ الشَّيْدِ، وَوَدِّ لَوْ أَنَّهُ أَغْلَقَ
عَيْنَيْهِ وَفَتَحَهُمَا، فَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ الْمُرْسَةِ، يَسِيرُ
فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَارَ فِيهِ «عَنْبَرُ أَفْنَدِي»، وَغَيْرُهُ مِنْ
الْكُبَرَاءِ.

وَمَضَى مَعَ الْأَطْفَالِ إِلَى مَكْتَبِهِمْ بِمَنْبِئَةِ الْعِزِّ، وَتَقَدَّمَ
إِلَى نَاطِرِ الْمَكْتَبِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُسَجِّلَ اسْمَهُ فِي عِدَادِ
التَّلَامِيذِ.

وَكَانَ النَّاطِرُ يَعْرِفُهُ وَيَعْرِفُ أَبَاهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ أَبَاهُ لَنْ
يَرْضَى أَبَدًا بِأَنْ يُصْبِحَ ابْنُهُ تَلْمِيذًا بِهَذَا الْمَكْتَبِ؛

فالتلاميذ في هذا النظام الذي أنشأه محمدٌ علي،
يُقتطعون من أهلهم، ويُنشئون على النظم العسكرية
الخالصة، التي تحول^(١) بينهم وبين نويهم، فلا يُسمح
لهم برؤيتهم حتى في زيارات قصيرة.

فلم يُسجل اسم علي مع التلاميذ حتى يأت^(٢) أبوه،
خوفاً من أن يغضب منه ويقاطعه، وهو صديق
العزير.

ولما علم علي بذلك، ثار على الناظر ثورة شديدة،
وهدهد بأن يشكوه إلى الوالي^(٣) إن لم يفعل ما طلب
منه، فلم يجد الناظر بداً من الخضوع لرغبة هذا
الصبي الجريء العنيد.

ثم بعث إلى أبيه من يخبره الخبر، ويطلب منه
الإسراع لإنقاذ الموقف قبل قوات الأوان.

(١) تحول: تحجز.

(٢) يأت: يسمع ويبص.

(٣) الوالي: الحاكم، والجمع: الولاة.

وما كادَ الشيخُ مبارَكُ يسمَعُ هذا الخبرَ، حتَّى فَرَعَ
فزعًا شديداً، وأسرعَ إلى الناظرِ، وعَمِلَ ما اسْتَطَاعَا
ليَصْرِفَهُ عَن قَصْدِهِ فلمْ يَتَجَحَّأ.

وَسَارَ عَلَيَّ فِي طَرِيقِهِ، الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَاخْتَارَهُ
الْقَدْرُ لَهُ، مُجِدًّا دَائِبَ الْعَمَلِ، وَأَمَلُهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ، فَكَانَ
مِنَ التَّلَامِيذِ النُّجَبَاءِ الَّذِينَ فُرِزُوا^(١) لِإِلْحَاقِهِمْ بِمَدْرَسَةِ
قَصْرِ الْعَيْنَى.

فَانْشَرَحَ صَدْرُهُ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي
تَخْرُجُ فِيهَا «عَنْبِرُ أَفَنْدَى»، بِدُونِ واسِطَةٍ، عَازِمًا عَلَى
السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى نِهَائِهِ، الَّتِي رَسَمَهَا لِنَفْسِهِ بَيْنَ
الْحُكَّامِ وَالْكُبَرَاءِ وَالْعُظَمَاءِ.

لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مَدْرَسَةَ (قَصْرِ الْعَيْنَى)^(٢) كَمَا كَانَ
يَتَخَيَّلُ، وَوَجَدَهَا بَعِيدَةً كُلَّ الْبُعْدِ عَمَّا سَمِعَ مِنْ فَرَاشٍ
«عَنْبِرِ أَفَنْدَى»، حتَّى اعْتَقَدَ بِأَنَّ مَا حُكِيَ لَهُ عَنْهَا أَوْهَامٌ

(١) فُرِزُوا: عَزِلُوا عَنْ بَقِيَّةِ تَلَامِيذِهِمْ.

(٢) دَخَلَ مَدْرَسَةَ قَصْرِ الْعَيْنَى ١٢٥١/ ١٨٣٥ وعمره ١٢ عامًا.

مَنْ نَسَجَ الْخِيَالِ، فَقَدْ كَانَ الْقَائِمُونَ عَلَى التَّعْلِيمِ
يُؤْذِنُونَ التَّلَامِيذَ بِالضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَلَا
حَرَجٍ.

وَكَانَتْ مَفْرُوشَاتُهُمْ حُصْرًا^(١) الْخَلْفَا^(٢) وَأَحْرَمَةً
الصُّوفِ الْغَلِيظِ وَكَانَ يَكْرَهُ الطَّعَامَ الَّذِي يُقَدَّمُ لَهُمْ
لِرِدَائَتِهِ، وَلَا يَأْكُلُ غَيْرَ الْجُبْنِ وَالزَّيْتُونِ. وَضَامَقَتْ بِهِ
الدُّنْيَا، وَوَدَّ لَوْ تَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الْمُرْسَةِ وَسَارَ فِي
طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهَا.

وَقَدْ حَاوَلَ أَبُوهُ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذَا النِّظَامِ الَّذِي
سَيَحْرِمُهُ مِنْ ابْنِهِ، وَحَاوَلَ هُوَ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ مِنْهُ
بِالْهُرُوبِ، وَقَدْ تيسَّرَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَهْلَهُ
وَمَا سَوْفَ يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ الشَّدِيدِ إِذَا فَرَّ هَارِبًا.

فَقَدْ كَانُوا يَطْلُبُونَ الْفَارِّينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَقْبِضُونَ
عَلَى أَهْلِهِمْ، وَيَقَيِّدُونَهُمْ بِقَيْودٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيُهَيِّنُونَ لَهُمْ

(١) حَصْر: بساط صغير يجلس عليه. والعقد: حميرة.

(٢) الخلفاء: نبات اطرافه محددة ينبت في الأرض قليلة المياه.

أكبر إهانة، فعَدَلَ عن فكرة الهروبِ حفاظًا على أهله.
حتى نُقلت المدرسةُ إلى «أبي زُعل» لِتصيرَ مدرسةَ
«قَصْر العيني» مدرسةَ خاصَّةٍ بالطَّبِّ.

فَظَنُّ أنَّها ستُكونُ شيئًا جَدِيدًا مُرِيحًا، فوجَّهها
لا تختلفُ عن مدرسةِ قَصْرِ العيني، وعادَ يفكرُ في
الفرارِ منها، لاسيَّما وهو يكرهُ علومَ الهندسةِ،
والحِسابِ، والنَّحوِ التي تدرُسُ فيها، فَقَدْ كانتَ لِنَبِيهِ
أثقلَ المَوادِّ، وكانَ كلامُ المَعلِّمينَ عنده مثلَ كلامِ
السَّحرةِ الذي لا يُفهمُ.

وإذا بِالْحَظِّ يبتسِمُ له بعدَ ذلكَ اليأسِ، فيبعثُ إليه
من يُحبِّبه في تلكَ العلومِ التي يكرهُها.

فقدُ كانَ ناظرُ المدرسةِ «راقيةً أفندي»، يتألَّمُ لحالِ
المُتأخِّرينَ من التلاميذِ في الدِّراسةِ، وعدمِ قدرتهم
على السَّيرِ معَ زملائهم، ففكرَ في طريقةٍ يُنقِذُهم بها،
فجمَعَهُم معًا، وجعلَهُم كلَّهُم في فرقةٍ واحدةٍ مستقلةٍ،

كَانَ عَلَىٰ مِنْهُمْ، بَلْ كَانَ آخِرَهُمْ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ مُعَلِّمَ هَذِهِ
الْفِرْقَةِ.

وَفِي أَوَّلِ دَرَسِ الْفَقَاهِ عَلَيْهِمُ، شَرَحَ لَهُمُ الْمَقْصُودَ مِنَ
الْهَنْدَسَةِ وَمِنْ رُمُوزِهَا، بِمَعْنَى وَاضِحٍ وَالْقَاطِطِ قَلِيلَةٍ
سَهْلَةٍ، فَانْفَتَحَ قَلْبٌ عَلَىٰ لَهُ وَفَهُمَ كُلُّ مَا قَالَهُ، وَأَقْبَلَ
التَّلَامِيذُ عَلَىٰ دُرُوسِهِ إِقْبَالًا شَدِيدًا.

خِلَافَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ، الَّذِينَ ظَلَّ تَلَامِيذُهُمْ
يَكْرَهُونَ مَوَائِدَهُمْ، وَيَكْرَهُونَهُمْ مِنْ أَجْلِهَا؛ فَلَمْ تَكُنْ
لِنَيْهِمْ تِلْكَ الطَّرِيقَةُ السَّهْلَةُ الْوَاضِحَةُ، وَكَانَ سَيْرُهُمْ
عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، هُوَ الْمَانِعُ لِتَلَامِيذِهِمْ مِنَ الْفَهْمِ.

أَحَبَّ عَلَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ الْهَنْدَسَةَ الَّتِي كَانَ يَرَاهَا الْغَارَا^(١)
لَا تَحُلُ، وَالْحِسَابَ الَّذِي كَانَ يَنْقُرُ مِنْهُ، بِفَضْلِ هَذَا
الْمُعَلِّمِ الْجَلِيلِ وَطَرِيقَتِهِ السَّهْلَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا إِقْبَالًا
شَدِيدًا، وَتَفَوَّقَ فِيهِمَا حَتَّى كَانَ أَوَّلَ فِرْقَتِهِ.

(١) الْغَارَا: كَالْفَاغَامِصَا، وَالْمُفْرَدِ: لِقَرْ.

أَمَّا النَّحْوُ فَبَقِيَ فِيهِ عَلَى حَالَتِهِ الْأُولَى، لَعَدَمِ تَغْيِيرِ
المُعلِّمِ وَلَا طَرِيقَةِ التَّعْلِيمِ السَّيِّئَةِ.

وانفتح البابُ أمامَ الفَتَى المُتفَوِّقِ، لِيَسِيرَ فِي الطَّرِيقِ
الَّذِي يَهْوَاهُ، فَكَانَ مِمَّنْ اخْتَبَرُوا لِلنَّارِسَةِ بِمُدْرَسَةِ
المُهَنْدِسِ سَخَانَةَ، فَدَخَلَهَا وَجَدَّ فِيهَا، وَظَهَرَتْ بِرَاعَتُهُ فِي
عُلُومِهَا، وَقَضَى بِهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ، كَانَ فِيهَا دَائِمًا
أَوَّلَ فَرَقَتِهِ، وَمَحَلَّ إعْجَابِ المُعَلِّمِينَ وَالنُّظَارِ وَغَيْرِهِمْ.



أسئلة الفصل الرابع

أجب عن الأسئلة التالية:

(١) ما موقف علي مبارك من المشهد الذي رأى فيه عنبر

أفندي؟

(٢) ما سر احترام الناس لهذا الرجل؟ وكيف وصل إلى تلك

المنصب؟

(٣) ما المدرسة التي تخرج فيها عنبر أفندي؟ وكيف دخلها؟

(٤) ما المدرسة التي صمم «علي مبارك» على دخولها؟

(٥) لماذا صمم «علي مبارك» على دخول تلك المدرسة؟

(٦) تخير الإجابة الصحيحة لما يلي مما بين القوسين:

(أ) شرط دخول مدرسة «قصر العيني»

(الاجتهاد – الواسطة – الصدق)

(ب) عندما تعرف علي مبارك على تلاميذ منية العز

(سخرُوا منه – ايتعدوا عنه . أعجبوا به)

(ج) كانت مقروشات مدرسة قصر العيني

(السجاد – حصر الخُلفا – القطن والحريز)

(د) عرف «علي مبارك» سر عظمة المأمور من:

(والده – الفرّاش – التلاميذ)

(٧) ماذا كان يتخيل على مبارك عن مدرسة قصر العيني؟

وما الحقيقة التي وجدها؟

(٨) قيم فكر على مبارك بعد أن عرف حقيقة المدرسة؟

(٩) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

(أ) دخل على مبارك مدرسة قصر العيني بالواسطة. ()

(ب) عدل على مبارك عن فكرة الهروب من المدرسة حفاظاً على

أهله. ()

(ج) نقلت مدرسة قصر العيني إلى أبي زعبل لتصير مدرسة

خاصة بالطب. ()

(د) اختير على مبارك للدراسة بمدرسة المهندسخانة وظهرت

براعته في علومها. ()

الفصل الخامس

في فرنسا

وَيَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يُكَافِيَ هَذَا التَّلْمِيزَ النَّجِيبَ عَلَى جَدِّهِ
وَاجْتِهَادِهِ، وَأَخْلَاقِهِ الْفَاضِلَةِ، وَتَطْلُعِهِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي
يَخْدُمُ فِيهِ أُمَّتَهُ، فَيَهَيِّئَ لَهُ سِيَاحَةً إِلَى أَوْرِبَا، الَّتِي ذَاغَ
صَبِيْتُ خَضَارَتِهَا، وَمَدَارِسُهَا، وَمَعَاهِدُهَا، لِيَتَزَوَّدَ مِنْهَا
خَيْرَ زَادٍ يَحِبُّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَيَحَقِّقَ طَمُوحَهُ
الَّذِي لَازِمُهُ مِنْذُ الصَّغَرِ.

فَشَدَّ الرِّحَالَ إِلَيْهَا، شَدِيدَ الْفَرَحِ بِمَا سَيَجْنِي مِنَ
مُشَاهَدَاتِهِ هُنَاكَ، يَتَمَنَّى أَنْ يَجِدَ شَيْئًا يَعُودُ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ
وَيَنْفَعُ بِهِ أُمَّتَهُ.

فَفِي سَنَةِ ١٢٦٥ مِنَ الْهَجْرَةِ، أَرَادَ مُحَمَّدٌ عَلَى أَنْ
يُرْسِلَ أَنْجَالَهُ إِلَى فَرَنْسَا لِيَتِمُّوا تَعْلِيمَهُمْ فِيهَا، وَرَأَى

أَنْ يُرَافِقَهُمْ فِي سَفَرِهِمْ بَعْضٌ مِنْ نُجَبَاءِ^(١) مَدْرَسَةِ
الْمُهَنْدِسِخَانَةِ، فَكَانَ عَلَى مُبَارَكٍ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَقَعَ
الِاخْتِيَارُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَئِكَ التَّلَامِيذِ.

وَكَانَ نَاضِرُ الْمَدْرَسَةِ يَعْرِفُ كِفَاءَتَهُ وَقَدِيرَتَهُ عَلَى
التَّعْلِيمِ فِيهَا، فَأَرَادَ أَنْ يُبْقِيَهُ لِيَكُونَ مِنْ بَيْنِ مُعَلِّمِيهَا،
وَجَعَلَ يُحِبُّهُ فِي رَفْضِ السَّفَرِ، وَكَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا بَقِيَ
وَلَمْ يُسَافِرْ، نَالَ عَلَى الْفَوْرِ رُتْبَةَ الْمُعَلِّمِ وَمُرَّتْبَهُ، أَمَا إِذَا
سَافَرَ فَسَيُظَلُّ تَلْمِيذًا.

وَجَعَلَ هُوَ وَمُعَلِّمُو الْمَدْرَسَةِ يُلْحُونَ عَلَيْهِ فِي الْبَقَاءِ،
وَيَحْسُنُونَهُ لَهُ بِكُلِّ الطَّرِيقِ، حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ يَطَاوِعَهُمْ
لَأَنْ أَهْلَهُ فَقَرَاءُ يُعْطِيهِمْ مِنْ مُرَّتْبِهِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ،
فَإِذَا سَافَرَ انْقَطَعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْمَدَدُ.

لَكِنَّهُ يَعْرِفُ قِيَمَةَ هَذَا السَّفَرِ، وَمَا سَيَجْنِي مِنْ وَرَائِهِ،
لِنَفْسِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ وَأُمَّتِهِ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ، وَأَبْعَدَ فِكْرَةَ

(١) نُجَبَاءٌ: متفوقون. والمفرد: نجيب.

البقاء عن رأسه، وفضل أن يرحل في طلب العلم
والمعرفة والثقافة، ففي تلك الرحلة حياة جديدة
وربح كبير.

وسافر مع بقية أعضاء البعثة، وكانوا سبعين
تلميذاً، فتحت لهم هناك مدرسة خاصة بهم، وقدر لكل
منهم جنيهاً في الشهر، فلم ينس ذلك الشاب العطوف
أهله، وترك لهم في مصر نصف مئتيه، كما كان يفعل
منذ أن قرض له مئتيه من المدارس التي تخلصها في
مصر.

ولما انتظم في الدراسة هناك، صانقته عقبة صعبة
كانت تهدم ما بناه كله، فالمدرسون يلقون عليهم
الدروس كلها باللغة الفرنسية، وهو وفريق من أعضاء
البعثة لا يعرفون شيئاً من هذه اللغة.

ومن أجل حل هذه المشكلة، أمر المشرفون من
يعرفون اللغة الفرنسية من الطلبة، أن يعاونوا من

لَا يَعْرِفُونَهَا، وَيَوْضَحُوا لَهُمْ مَا يُلْقَى عَلَيْهِمْ مِنَ
الدُّرُوسِ، لَكِنَّ أَوْلَئِكَ الطُّلَّابَ يَخْلُوا بِمَعْرِفَتِهِمْ عَلَى
إِخْوَانِهِمْ، وَرَفَضُوا أَنْ يَشْرَحُوا لَهُمْ شَيْئًا، لِيَكُونُوا
هُمْ الْمُتَفَوِّقِينَ دُونَهُمْ.

وَظَلَّ أَوْلَئِكَ التَّلَامِيذُ لَا يَفْهَمُونَ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا
يُقَالُ لَهُمْ، فَأَمْتَنَعُوا عَنِ الدُّرُسِ، فَحَبَسَهُمُ الْمُشْرِفُونَ
عَلَيْهِمْ، وَكَتَبُوا بِشَأْنِهِمْ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى، فَأَمَرَ بِأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُظْهِرُونَ الطَّاعَةَ، تَوْضَعُ فِي أَيْدِيهِمْ قَبُودُ الْحَبِيدِ،
وَيُعَانَتُونَ سَرِيعًا إِلَى مِصْرَ.

فَمَاذَا يَفْعَلُ عَلَى فِي هَذِهِ الْمَشْكِلَةِ الصَّعِيبَةِ؟ وَكَيْفَ
يَحُلُّهَا حَتَّى لَا تَضِيعَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْفُرْصَةُ الثَّمِينَةُ، الَّتِي
عَلَّقَ عَلَيْهَا أَمَلًا كَبِيرًا فِي مُسْتَقْبَلِ عَظِيمٍ؟

لَمْ يَيَأْسَ ذَلِكَ الطَّالِبُ الشَّجَاعُ الذَّكِيُّ كَمَا يَتَّسِرُ غَيْرُهُ،
فَهُوَ ذُو عَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ، يَوَاجِهُ بِهَا الصَّعَابَ وَيَتَغَلَّبُ

عَلَيْهَا، وَكَمْ مِنْ عَقْدٍ اسْتَعَصَتْ عَلَى غَيْرِهِ فَحَلَّهَا هُوَ،
مُعْتَمِدًا عَلَى رَبِّهِ، عَظِيمِ الثِّقَةِ بِنَفْسِهِ!

وَبِسُرْعَةٍ أَحْضَرَ كِتَابًا فَرَنْسِيًّا مِنْ كُتُبِ الْأَطْفَالِ،
وَانْكَبَّ^(١) عَلَيْهِ، يَحْفَظُ مَا فِيهِ حِفْظًا جَيِّدًا، لَا يَنَامُ مِنَ
اللَّيْلِ إِلَّا أَقَلَّهُ، حَتَّى تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ.

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ جَاءَ الْامْتِحَانُ، فَدَخَلَهُ فِي ثِقَةٍ،
واجْتَنَزَاهُ بِتَفَوُّقٍ، وَكَانَ أَوَّلَ الْمَبْعُوثِينَ جَمِيعًا، وَنَالَ
الْجَائِزَةَ الَّتِي خُصِّصَتْ لِلْمُتَفَوِّقِينَ.

وَأَظْهَرَ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ مَهَارَةً فَائِثَةً، كَانَتْ مَوْضِعَ
التَّقْدِيرِ، فَلَمَّا أَتَمَّ بَرَأْسَتَهُ فِي بَارِيسَ، اخْتِيرَ مَعَ
زَمِيلَيْنِ لَهُ مِنْ بَيْنِ التَّلَامِيذِ، لِبَرَأْسَةِ الْمِدْفَعِيَّةِ
وَالْهَنْتَسَةِ الْحَرْبِيَّةِ فِي إِحْدَى الْكَلِيَّاتِ بِفَرَنْسَا، وَمُنِحَ
رُتَبَةً «مُلَازِمَ ثَانٍ».

(١) انْكَبَّ عَلَيْهِ: عَكَفَ عَلَيْهِ

وفى سنتين اثنتين، ترس هو وزميلاه ما
اختيروا من أجله وأجادوه إجادَةً تامَّةً، ونالوا
الإعجاب الشَّيْدَ مِنَ الْجَمِيعِ، ثُمَّ التحقَ الثَّلاثَةُ بفرقةِ
المُهَنْدِسِينَ فى الجَيْشِ.

وَكَانَ إبراهيمُ بنُ مُحَمَّدٍ عَلَى، قَدْ رَأَى أَنْ يُزَوِّدَ
هَؤُلَاءِ الْمَبْعُوثِينَ بِمَعْرِفَةِ أَوْسَعِ لِلْبِلَادِ الْأُورُبِّيَّةِ، لِيَرَوْا
مَا فِيهَا مِنَ النَّهْضَةِ وَالتَّقَدُّمِ، وَيَعُوثُوا مِنْهَا بِمَا يَحَقُّ
أَعْرَاضَهُ، فَوَضَعَ لَهُمْ بَرنامِجًا لزيارةِ طَوِيلَةٍ فى تلكِ
البِلادِ، ففَرِحَ عَلَى بِهَا أَشَدَّ الْفَرَحِ، وَأَخَذَ يَسْتَعِدُّ لَهَا.

ثم انقلبَ سُرُورُهُ حُزْنًا لِفَوَاتِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ الثَّمِينَةِ
الَّتِي لَمْ تَتِمَّ، لِأَن صَاحِبَهَا قَدْ مَاتَ.

ولَمَّا تَوَلَّى بَعْدَهُ عِيسَى الْأَوَّلُ، أَمَرَ بِأَنْ يَعُودَ عَلَى
وِزْمَلَاوِهِ إِلَى مِصْرَ، فَعَادَ شَبِيذَ الْأَلَمِ لَضِياعِ تِلْكَ
الْغَنِيمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أُتِنِعَ عَلَيْهِ بِرِثْبَةِ
(اليوزباشى) الْأَوَّلِ، وَعَيَّنَ مُدْرِسًا فى مَدْرَسَةِ طُرَّةِ.

وكان أول عمل قام به بعد أن عُيِّنَ مُدرِّسًا في
مدرسة طرة أن قدَّم الخير إلى أسرة أستاذه في
الرسم بمدرسة «أبي زعل»، وكان قد توفى، فتزوَّج
كريمته^(١)، وفاءً لأبيها الذي تركها فقيرة، وعرفانا
لفضله عليه في التربية والمعروف.

ويقول على مبارك عن نفسه:

ثم حدثتني نفسي أن أستاذن لزيارة أهلي بعد هذه
الغيبة الطويلة فكلَّمْتُ الناظرَ في ذلك فقال لي إنَّ مَنْ
يُسافِرُ يقطع نصفَ ماهيته وأنت الآن محتاجٌ إليها
فالأحسنُ أن تصبرَ حتَّى أكلِّمَ سليمان باشا الفرنسي
ليأخذك معه في مأمورية استكشاف البحيرة^(٢)
والسواحل، فإذا حصل ذلك يتمُّ مرغوبك بسهولة،
وقد حصل وأخذت المأمورية وسافرتُ معه.

(١) كريمته . ابنته.

(٢) البحيرة: مجتمع للماء تحيط به الأرض.

ولمَّا كُنَّا بِدُمِيَّاطِ انْفَصَلْتُ عَنْهُ فِي جِهَةٍ مِنَ الْمَأْمُورِيَّةِ،
وبَعْدَ أَنْ مَسَحْتُ^(١) الْبَحِيرَةَ وَحَرَرْتُ^(٢) جُرْنًا^(٣) لَهَا
وَرَسَمْتُهَا؛ نَهَبْتُ إِلَى بَلَدِنَا «بِرْنِبَال» - وَكَانَ أَهْلِي قَدْ
رَجَعُوا إِلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ - فَوَجَدْتُ أَنَّ أَبِي قَدْ سَافَرَ
إِلَى مَصْرَ لَزِيَارَتِي، وَلَمْ أَجِدْ فِي الْمَنْزِلِ إِلَّا وَالِدَتِي
وَبَعْضَ إِخْوَتِي.

وَكَانَ دُخُولِي عَلَيْهِمْ لَيْلًا فَطَرَقْتُ الْبَابَ فَقِيلَ: مَنْ
أَنْتِ؟ فَقُلْتُ: ابْنُكُمْ عَلَى مَبَارِكٍ - وَكَانَتْ مَدَّةُ مَفَارِقَتِي
لَأُمِّي أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ تَرِنِي فِيهَا وَلَا سَمِعَتْ
صَوْتِي^(٤) - فَقَامَتِ مَهْوُشَةً إِلَى مَا وَرَاءَ الْبَابِ،
وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ وَتَحْدُ النَّظَرَ - وَكُنْتُ بِقِيَاةِ^(٥)
الْعَسْكَرِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ لَابِسًا سَيْفًا وَكِسْوَةً تَشْرِيفٍ -

(١) مسح: قاس، قام بقياسها).

(٢) حرر: وثق وسجل.

(٣) جرن: موضع واسع تحف فيه الفارس وتدرس. والجمع: لجران.

(٤) وكان ذلك بسبب النظام التعليمي الذي يقطع المتميز من أهله فلا يخرج إليهم أبداً حتى

بعد تخرجه.

(٥) قياة: الزى العسكري.

وكررت السؤال حتى علمت صدقي ففتحت الباب
وعانقتني ووقعت مغشياً عليها، ثم أفاقت وجعلت
تبكي وتضحك وتزغرد، وجاء أهل البيت والأقارب
والجيران، وامتلاً المنزلُ ناساً وبقينا كذلك إلى
الصباح، والناس بين ذاهبٍ وآيبٍ، ثم رأيتُ والدي
في حيرةٍ فيما تصنعه لي من الإكرام، وتريدُ عملَ
وليمة^(١) وهي فارغة اليد، ورأيتها تبكي ففهمتُ
حقيقة الحال، فناولتها عدةَ عملاتٍ ذهبيةٍ كانت
بجيبِي ففرحت وأولمت؛ فأقمتُ عندهم يومين ثم
استأننتهم ووعنتهم بالعودة.

ولما رجعنا إلى المحروسة^(٢) استأننتُ وسافرتُ
إلى الإسكندرية بعيالي وأخ وأخت لي صغيرين كنتُ
أربيهما، فلما وصلتُ هناك تركتهم في المركب،
ونهبْتُ إلى جاليس بك؛ فوجدتُ عنده سليمان باشا

(١) وليمة: كل طعام يصنع للعرس وغيره. والجمع: ولائم.

(٢) المحروسة: وصف غلب على القاهرة عاصمة مصر.

الفرنساوى قد سبقنى، وكذا غيره من الأمراء
والضباط؛ فجلستُ بعد أداء الواجبِ وبينما فنجانُ
القهوة بيدي إذا بمكتوبٍ واردٍ بالإشارة من عباس
باشا بطلبي حالاً.



أسئلة الفصل الخامس

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) لماذا تطلع على مبارك للسفر إلى أوروبا؟
- (٢) مَنْ الذى رشح على مبارك للسفر؟ ولماذا؟
- (٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:
- (أ) فرح ناظر المدرسة يسفر على مبارك. ()
- (ب) وافق على مبارك على البقاء فى مصر ورفض السفر. ()
- (ج) كان عدد أعضاء البعثة سبعين تلميذاً. ()
- (د) كانت الدراسة للتلاميذ باللغة الإنجليزية. ()
- (٤) ما الصعاب التى واجهها على مبارك؟ وكيف تغلب عليها؟
- (٥) ما الأمر الذى أصدره الخديو لتلاميذ البعثة؟ ولماذا؟

(٦) لماذا اختير على مبارك لدراسة المدفعية والهندسة الحربية؟

(٧) كيف عبر على مبارك عن وفائه لأسرة أستاذه؟

(٨) صف حال أم على مبارك عند زيارته لهم.

(٩) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام غير الصحيحة مع تصويبها:

(أ) عُين على مبارك مدرسًا بمدرسة طرة. ()

(ب) كانت زيارة على مبارك لأهله ضمن مأمورية استكشاف

البحيرة. ()

(ج) أعدت أم على مبارك وليمة لأهل البلدة بمناسبة زيارة

ابنها. ()

(د) سافر على مبارك إلى الإسكندرية بعد عودته إلى المحروسة

ومعه والده وأمه. ()

الفصل السادس

وزير التربية والتعليم

وكانَ علىَّ معروفًا بسَّعة^(١) اطلاعي وِغزارةِ علميهِ
وثقافَتِهِ، وقدرتِهِ على إدارة ما يُكَلَّفُ بِهِ^(٢) مِنَ الأعمالِ،
وإن لَمْ تَكُنْ في تَخَصُّصِهِ الهندسِيِّ، فَأُسْنِتَتْ إِلَيْهِ
أُمُورٌ عَجَزَ غَيْرُهُ عَنِ النُّهُوضِ بِهَا، فَقَامَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ،
مِمَّا زَادَ الثُّقَّةَ بِهِ والاعتمادَ عَلَيَّهِ.

ومَضَى صَاعِدًا في درجاتِ المجدِّ الَّتِي كَانَ يَتِمَنَّاها،
حَتَّى أَسْنَدَ إِلَيْهِ عباسُ أَكْبَرَ متصِبٍ في مَيدانِ التعليمِ.
فتَعَالَ بِنَا نرافقُهُ في هَذَا المَيدانِ، لنَرى كَيفَ أدارَهُ
نَلكَ المَهندسُ القَديرُ، ونالَ^(٣) فِيهِ أَعْظَمَ تَقْيِيرٍ.

(١) بسَّعة: اتساع.

(٢) يُكَلَّفُ بِهِ يُؤَمَّرُ بِهِ.

(٣) نالَ: حصل على.

لَمْ يَكُنْ لِلْمَدَارِسِ الْمَصْرِئَةِ حِينَئَذِكَ قَانُونٌ يُنَظَّمُ
سَيْرَ التَّعْلِيمِ فِيهَا، وَيُوَدَّى الْفَائِدَةُ مِنْهُ، فَأَرَادَ عَبَّاسٌ أَنْ
يَضَعَ لَهَا نَظْمَ الْقَانُونِ، وَلَمَّا كَلَّفَ بَعْضَ الْمُخْتَصِّصِينَ
بَوَضْعِهِ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَحَقِّقُوا الرِّغْبَةَ الْمَطْلُوبَةَ
مِنْهُ.

فَدَعَا الْعَالَمَ الْجَلِيلَ عَلَى مَبَارَكٍ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ ذَلِكَ
الْعَمَلَ، فَوَضَعَهُ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ فَنَالَ إِعْجَابَهُ، وَهَنَّاهُ
عَلَى قُدْرَتِهِ وَدِقَّتِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِرَتْبَةِ «الْأَمِيرِ الْإِلَهِيِّ»^(١)،
وَعَيْنَهُ نَاطِرًا^(٢) لِلْمَدَارِسِ، فَكَانَ أَوَّلَ وَزِيرٍ مِصْرِيٍّ
تَوَلَّى هَذَا الْعَمَلَ، وَكَانَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ فِي أَيْدِي الْأَجَانِبِ
يَعْبَثُونَ فِيهِ كَمَا يَشَاءُونَ.

(١) الْأَمِيرُ الْإِلَهِيُّ: وَتَبْعُهُ مِنَ وَتَبِ الْجَيْشِ.
(٢) نَاطِرًا: وَزِيرًا.



تلا مريد على مائدة الطعام ووزير التعليم يجلس امامهم

وَقَدْ أَعْطَى نَلَكَ الْعَالَمِ الْفَاضِلُ التَّعْلِيمَ أَكْبَرَ رَعَايَةٍ
وَأَجَلَّهَا^(١)، فَكَانَ يَضَعُ بِنَفْسِهِ الْكُتُبَ لِلْمَدَارِسِ أَوْ
يَعَاوَنُ الْمُعَلِّمِينَ فِي تَأْلِيفِهَا.

وَلَمْ تَشْغَلْهُ أَعْمَالُهُ الْكَثِيرَةُ عَنِ الْإِشْرَافِ عَلَى مَأْكَلِ
التَّلَامِيذِ، وَمَلْبَسِهِمْ، وَرَاحَتِهِمْ، وَتَعْلِيمِهِمْ، فَيَعْلَمُ
بِنَفْسِهِ التَّلْمِيذَ كَيْفَ يَلْبَسُ، وَكَيْفَ يَأْكُلُ، وَكَيْفَ يَقْرَأُ
وَيَكْتُبُ...

وَيَلَاحِظُ الْمُعَلِّمَ، كَيْفَ يُلْقِي الدَّرْسَ، وَكَيْفَ يُوَدِّبُ
التَّلَامِيذَ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصْنَعَ، لِيَنْشَأَ
التَّلْمِيذُ صَحِيحًا، وَاعِيًا، قَادِرًا عَلَى خِدْمَةِ بِلَادِهِ.

فَلَا يَمْضِي يَوْمٌ إِلَّا وَيَدْخُلُ عِنْدَ كُلِّ فِرْقَةٍ^(٢)، وَيَتَقَدَّدُ
أَحْوَالَهَا^(٣)، وَيُشَدِّدُ عَلَى الضُّبَاطِ وَالْخَنَمَةِ فِي الْقِيَامِ
بِأَعْمَالِهِمْ خَيْرَ قِيَامٍ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ أَدَاءً لَوَاجِبِ الْوَطَنِ،
فَكَانَ يُلْقِي ثُرُوسًا فِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ أَيْضًا.

(١) أَجَلَّهَا أَعْظَمُهَا.

(٢) فِرْقَةٌ: صِنْفٌ دِرَاسِيٌّ.

(٣) يَتَقَدَّدُ أَحْوَالَهَا: يَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا.

أسئلة الفصل السادس

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) بم عُرف على مبارك؟
- (٢) ما الأمر الذى أسند إلى على مبارك فى ميدان التعليم؟
- (٣) كيف كان حال المدارس المصرية حينذاك؟
- (٤) أكمل الجمل الآتية بما يناسبها من خلال فهمك للموضوع:

- وضع على مبارك للتعليم نال إعجاب الخديو.
 - أعطى العالم الفاضل التطعيم أكبر وأجلها.
 - كان على مبارك يضع بنفسه للمدارس.
 - كان على مبارك أول مصرى تولى هذا العمل.
 - كان التطعيم من قبل ذلك فى أيدي يبحثون فيه.
- (٥) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يلى:

أمام العبارة الخطأ فيما يلى:

- (أ) عمل على مبارك فى تخصصه فقط.
- (ب) أهمل على مبارك شئون تلاميذه.

(ج) كان على مبارك يلقي الدروس بنفسه. ()

(د) نجح على مبارك في وضع قانون ينظم سير التعليم في

المدارس المصرية. ()

(هـ) كان على مبارك متخصصاً في الطب والهندسة. ()

الفصل السابع

صعاب وعقبات

هل سارت حياة على مبارك رحية^(١) هنيئة كما رأينا
تتحقق له الطموحات^(٢) وتسعى إليه المناصب؟ أم أن
رياحاً عاتية^(٣) كانت تنتظره؟

إن الحياة ليست نعيمًا دائمًا، ولا شقاءً متصلاً،
وإنما هي مزاجٍ منهما: فوقتٌ نعيمٍ وراحة، وأوقاتٌ
تعَبٌ وشقاء. أو أوقاتٌ نعيمٍ وراحة. ووقتٌ تعبٍ
وشقاء. فقد ظلت حياة على مبارك رحيةً هنيئةً طيلة
حكم عباس، فلمَّا نهب وجاء سعيدٌ، وجد أعداءً على
وحسَّاءه من أننى الوالى الجديد، وعاءً واسعاً

(١) رحية: واسعة ناعمة والمذكر منها: رحي.

(٢) الطموحات: التطلعات ومفردها الطمح.

(٣) عاتية: جبارة شديدة

صَبُّوا فِيهِ أَكَانِيَبَهُمِ الْمَحْبُوكَةَ^(١)، فَأَبْعَدَهُ عَنِ نِظَارَةِ
الْمَعَارِفِ.

ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُبْعِدَهُ عَنِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا، فَاَنْتَهَزَ فُرْصَةً
إِلْسَالِ فِرْقَةٍ مِنَ الْجَيْشِ الْمَصْرِيِّ لِمُسَاعَدَةِ الدَّوْلَةِ
الْتُرْكِيَّةِ فِي حَرْبِهَا مَعَ رُوسِيَا، وَأَمَرَ بِالْحَاقِ عَلَى بِهَا
لِيَنْهَبَ وَلَا يَرْجِعَ.

وَكَانَ جَمِيلًا وَمَوْثِرًا أَنْ يَخْرُجَ تِلَامِيذُ الْمَدَارِسِ
وَصِبْيَانُهَا وَمُعَلِّمُوهَا، لِتَوْدِيعِهِ وَهُوَ مُسَافِرٌ، يُنْشِدُونَ
الْأَنَاشِيدَ وَيَهْتَفُونَ الْهَتَافَاتِ الصَّادِرَةَ مِنْ صَمِيمِ
أَفْئِدَتِهِمْ^(٢)، اعْتِرَافًا بِأَعْمَالِ هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي
يَنْكُرُهَا حُسْنُهُ وَشَانِنُوهُ^(٣).

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْإِبْعَادُ خَيْرًا وَبِرَكَّةً عَلَى هَذَا الرَّجُلِ
الْمُحِبِّ لِلْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ، فِي الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي

(١) الْمَحْبُوكَةُ: الْحُكْمَةُ.

(٢) أَفْئِدَةٌ: قَلْبٌ. وَمَعْرِفَتُهَا: قَوْلُهُ.

(٣) شَانِنُوهُ: مَبْغُضُوهُ.

قَضَاها هُنَاكَ، عَرَفَ بِلَادًا جَدِيدَةً لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا،
وَتَعَلَّمَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَمْ يَكُنْ تَعَلَّمَهَا، وَدَرَسَ اللُّغَةَ
الْتُرْكِيَّةَ، وَكَسَبَ كَثِيرًا مِنْ صَدَاقَاتِ الرُّجَالِ، الَّذِينَ
أَعْجَبُوا بِهِ وَقَدَّرُوهُ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالنَّجَاحِ.

وَلَمَّا عَادَ إِلَى الْبِلَادِ، لَمْ يَلْقَ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى تِلْكَ
الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ غَيْرَ الْفَصْلِ مِنْ خِدْمَةِ الْجَيْشِ
وَالْحُكُومَةِ، فَأَقَامَ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ بِالْقَاهِرَةِ كَانَ قَدْ
اسْتَأْجَرَهُ وَسَكَنَ فِيهِ، وَمَعَهُ أَخٌ لَهُ وَابْنَةٌ أَخٌ كَانَ يُرَبِّيَهَا
وَيُعَلِّمُهَا.

وَعَاشَ فَقِيرًا مَتَأَلِّمًا، فَقَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَا كَانَ لَهُ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْمَنَاصِبِ.

وَوَجَدَ أَنَّهُ لَا دَاعِيَ لِبَقَائِهِ فِي الْقَاهِرَةِ مَعَ الْحَالَةِ
الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ، وَيَقِيمَ
بِالرِّيْفِ، وَيَسْتَغِلَّ بِالزَّرَاعَةِ لِيَعِيشَ مِنْهَا.

وبينما هو يستعد للسفر إلى «برنبال»، علم أن أمراً صدر له ولغيره بالذهاب إلى القلعة، وعندما ذهب إليها عرضوا عليه وظيفة لا تناسب مقامه، وأمام الفقر والحاجة الشديدة، اضطر إلى قبولها.

ثم تولى بعض الوظائف الأخرى التي لا تناسبه، فلم يدع أوقاته تضيق في غير فائدة، وشغل نفسه بالتأليف الذي يهواه، فوضع كتاباً في الهندسة، وآخر في الاستحكامات العسكرية وسوق الجيوش^(١)، وكتابته «تذكرة المهندسين».

ولكن، حتى هذه الوظائف الصغيرة لم تدُم له، فقد أمر سعيد بفصل كثير من الموظفين كان هو من بينهم، فعاد إلى البطالة والحاجة الشديدة مرة أخرى، فتراكمت عليه الديون، واشتد به الضيق فماذا يعمل؟

(١) سوق الجيوش، قبايتها.

سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِهِ، فَسَاقَ إِلَيْهِ
الْفَرَجَ. وَفَتَحَ لَهُ بَابَ الرِّزْقِ فِي عَمَلٍ حُرٍّ، بَعِيدٍ عَنِ
الْوِظَائِفِ وَتَقْلِبَاتِهَا وَنَسَائِصِهَا^(١).

فَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُهُ فِي الْمَسْكَنِ صَدِيقُهُ إِسْمَاعِيلُ بَاشَا
الْفَرِيقِ، وَكَانَ مَكْلَفًا مِنَ الْحُكُومَةِ بِالإِشْرَافِ عَلَى بَيْعِ
مُهِمَّاتٍ وَعَقَارَاتٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا تَمْلُكُهُ، بِالْمَزَادِ، فَصَحِبَهُ
إِلَى مَكَانِ ذَلِكَ الْمَزَادِ، لِيُسَلِّي نَفْسَهُ.

وَفُتِحَ الْمَزَادُ، وَبَدَأَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ، وَتَقَدَّمَ التَّجَارُ
يُعْطُونَ أَثْمَانًا زَهِيدَةً لِمَا يُبَاعُ، وَنَظَرَ عَلَى وَسَمِعَ،
فَأَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ مِمَّا يَرَى وَيَسْمَعُ، وَجَعَلَ يَحْدُثُ نَفْسَهُ
فِي عَجَبٍ:

يَا اللَّهُ! هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الثَّمِينَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِثِيلٌ،
تُبَاعُ بِأَبْخُسِ الْأَثْمَانِ^(٢)!

(١) نَسَائِصُهَا: مَكَائِدُهَا وَجِلْبَاهَا الْخَفِيَّةُ وَمَقَرُّهَا نَسِيسَةٌ.

(٢) أَبْخُسُ الْأَثْمَانِ: أَقْلَاهَا.

هذه الأدوات من أدوات المهندسخانة الغالية،
أعرفها جيداً! ما بالها تلقى للتجار كأنها أشياء بالية
لا تساوي شيئاً؟!

وهذه كُتبي التي أنفقت في تأليفها الأيام والليالي،
تباع بتلك الأثمان الزهيدة^(١)، وهي لا تقدر بمال!

خسارة كبيرة أن يفرطوا^(٢) في هذه الأشياء
النابرة^(٣)، من الفضائات، والمرايا، والساعات،
والمفروشات...!

ويا ليت التجار يدفعون تلك الأثمان القليلة على
الفور، بل يوجّلونها إلى آجال بعيدة، فينالون من ذلك
أرباحاً كثيرة!

ثم تذكر حاجته الشديدة إلى المال، فقال في نفسه:

(١) الزهيدة: القليلة.

(٢) يفرطوا: يضيعوا.

(٣) النابرة: القليلة.

— لِمَ لَا أُدْخِلُ هَذَا الْمِيدَانَ، فَلَا تُنْقِصُنِي الْمَهَارَةَ
فِيهِ؟! سَأُدْخِلُهُ وَلَكِنِّي لَنْ أُبْخَسَ الْأَشْيَاءَ أَثْمَانَهَا، فَهِيَ
مَالُ الدَّوْلَةِ، وَحَرَامٌ أَنْ يُنْهَبَ بِطَرِيقَةٍ تِلْكَ الْمَزَادَاتِ، بَلْ
أُعْطِيهَا حَقَّهَا، وَأَكْتَفَى بِالرِّيحِ الْقَلِيلِ الْحَلَالِ!

وَدَخَلَ هَذِهِ السُّوقَ، وَأَبْدَى فِيهَا مَهَارَةً كَبِيرَةً فِي
الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فَتَدَقَّقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْبَاحُ، وَكَلَّمَا زَادَ رِبْحُهُ
زَادَ إِقْبَالُهُ عَلَى الْعَمَلِ، حَتَّى كَادَ يَقْنَعُ بِهِذِهِ الْحَالِ،
وَيَنْسَى عِلْمَهُ وَمَعَارِفَهُ.

لَكِنَّهُ كَانَ يَحِنُّ إِلَى خِدْمَةِ وَطَنِهِ لِيُؤَدِّيَ حَقَّهُ عَلَيْهِ،
فَيَعُودُ إِلَى وَظِيفَةٍ تَمَكِّنُهُ مِنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْجَلِيلَةِ.

ثُمَّ صَرَفَهُ اضْطِرَابُ الْحَالِ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ عَنْ
وُظَائِفِ الْحُكُومَةِ، حَتَّى تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ، فَتَحَرَّكَ فِي
صَبْرِهِ أَدَاءَ الْوَاجِبِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْمَكَاسِبِ الْكَبِيرَةِ
مِنْ الْعَمَلِ الْحَرِّ، وَقَبِلَ الدَّعْوَةَ الَّتِي جَاءَتْهُ لِلْعَمَلِ مِنَ
الْوَالِي الْجَدِيدِ إِسْمَاعِيلَ.

ونَهَضَ بِقُوَّةٍ يُوَدِّي لِلوَطَنِ أَجَلَ الخِدْمَاتِ، الَّتِي
تُذَكِّرُ لَهُ بِكُلِّ تَقْدِيرٍ وَإِكْبَارٍ.

بَدَأَ إِسْمَاعِيلُ حُكْمَهُ بِالْبَحْثِ عَنِ الرِّجَالِ الَّذِينَ
يَعَاوَنُونَهُ فِي الْعَمَلِ، مِنَ الْأَنْكِيَاءِ الْقَاسِرِينَ، الْمُشْهُورِينَ
بِالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ..

فَاهْتَدَى إِلَى عَلَى مَبَارَكٍ، الْعَالِمِ الْجَلِيلِ، الَّذِي ذَاغَ
صِيَّتُهُ^(١)، وَانْتَشَرَتْ أَخْبَارُ قُدْرَتِهِ، وَصَبِرَهُ عَلَى الْعَمَلِ،
وَنَشَاطِهِ، وَتِجَارِيهِ الْوَاسِعَةِ، وَحُبِّهِ الشَّدِيدِ لِبِلَادِهِ،
فَدَعَاهُ إِلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ فِي بِشَاشَةٍ^(٢)
وَاحْتِرَامٍ:

— أَنْتَ يَا عَلَى رَجُلٌ عَظِيمٌ، سَمِعْتُ عَنْكَ الْكَثِيرَ
الْمَشْرِفَ، وَأَعْجَبْتَنِي جُرْأَتُكَ، وَعِزَّةُ نَفْسِكَ، وَقُدْرَتُكَ
عَلَى الْعَمَلِ، وَسُرْعَةُ إِنْجَازِكَ إِيَّاهُ^(٣) عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ.

(١) ذَاغَ صِيَّتُهُ اشتهر

(٢) بِشَاشَةٌ ايفتسامة

(٣) إِنْجَازُكَ سُرْعَةُ إِتْمَاعِكَ لِلْعَمَلِ



المخديو إسماعيل ومعه علي بنيساري

وَإِذَا كَانَ غَيْرِي مِمَّنْ سَبَقُونِي، لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرَكَ
الْكَبِيرَ، فَأَنَا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا، وَأَوْدُّ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي يَدِي؛
لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ وَرَفْعِ شَأْنِهَا، وَقَدْ أَلْحَقْتُكَ بِمَعِيَّتِي^(١)
لِتَكُونَ دَائِمًا بِجَانِبِي، وَأَطْلَقْتُ يَدَكَ فِي الْعَمَلِ.

فَشَمَّرُ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ، وَانْهَضُ مَعِيَ بِقُوَّةٍ، لَتَنْهَضَ
بِلَانُنَا وَتَرْقَى حَتَّى تَبْلُغَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي نَطْمَحُ
إِلَيْهَا.

سُرَّ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْفُرْصَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَ يَتَحَيَّنُهَا^(٢)،
فَقَدْ أُسْنِدَ إِلَيْهِ إِمَارَةُ كَثِيرٍ مِنْ مِرَاقِقِ الدَّوْلَةِ فَشَمَّرَ عَنْ
سَاعِدِ الْجَدِّ وَكَانَتْ لَهُ يَدُ إِصْلَاحٍ وَتَعْمِيرٍ فِي كُلِّ هَذِهِ
الْمِرَاقِقِ فَمَا مِنْ مَشْرُوعٍ تَمَّ، وَلَا عِمْرَانٍ انْتَشَرَ إِلَّا وَلَهُ
فِيهِ يَدٌ مَشْكُورَةٌ. فَقَدْ شَارَكَ فِي إِصْلَاحِ كُلِّ مَنْ:

(١) معييتي: من معي، أي حاشيتي

(٢) يتحايَّنُها : يترقبها.

المستشفيات - السجون - المجازر^(١) - السكك
الحديدية - أعمال الرئى - شق الشوارع فى الأحياء
القديمة - الصرف الصحى - تنظيم المدن وتخطيطها،
كما أنشأ دار الكتب وكلية دار العلوم.



(١) المجازر: مفرد ما مجزأ؛ وهو مكان يتم فيه ذبح الأغنام والأبقار لبيعها

أسئلة الفصل السابع

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) ما أثر أكتانيب بعض حساد على مبارك على حياته؟
- (٢) كيف ودع تلاميذ المدارس على مبارك عند سفره؟ ولماذا؟
- (٣) إلى أين كان هذا الإبعاد؟ وكيف كان خيرًا وبركة؟
- (٤) ما الجزاء الذى لقيه على مبارك بعد عودته إلى البلاد؟
- (٥) كيف عاش على مبارك بعد عودته؟ وعلى أى شيء عزم؟

(٦) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

(١) عُرض على «على مبارك» وظيفة لا تناسب مقامه

فرفضها. ()

(ب) وضع على مبارك كتابًا فى الهندسة، وآخر فى

الاستحكامات العسكرية. ()

(ج) أمر سعيد بفصل كثير من الموظفين ما عدا

على مبارك. ()

(د) عاد على مبارك إلى البطالة، وتراكت عليه

الديون. ()

(٧) ماذا تمنى على مبارك من التجار في المزاد؟

(٨) كيف بدأ إسماعيل حكمه؟ ولماذا اختار على مبارك لمعاونته؟

(٩) ما الفرصة التي سُر بها على مبارك؟

(١٠) ماذا كان موقف على مبارك بعد اختيار إسماعيل له؟

(١١) اذكر بعضاً من المشروعات التي شارك في إصلاحها على مبارك.



الفصل الثامن

أبو التعليم

أُسْنَدُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى عَلِيٍّ مَبَارَكِ بَيَوَانَ الْمَدَارِسِ،
فِيمَا أُسْنَدُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ^(١). فَهَبْ مُسْرِعًا
بِقُوَّةٍ وَعَزِيمَةٍ صَابِقَةٍ، يَعْمَلُ فِي هَذَا الْمِيدَانِ الَّذِي
يَهْوَاهُ، وَيَجْدُ فِي نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ يَرْتَفَعَ بِهِ،
لِيُخَلِّصَ الْوَطْنَ مِمَّا هُوَ غَارِقٌ فِيهِ إِلَى الْأَنْقَاةِ، مِنْ
الْفَقْرِ، وَالتَّأَخُّرِ، وَالبُعْدِ الشَّدِيدِ عَمَّا جَدَّ فِي الدُّنْيَا مِنْ
حَضَارَةٍ وَارْتِقَاءٍ^(٢).

(١) الجليّة: العظيمة.

(٢) ارتقاء: تقدم.

لَا يَنْسَى أَنَّهُ ابْنُ الْقَرْيَةِ الْمَعَذَّبَةِ، الْمَحْرُومَةِ مِنَ
الْحَيَاةِ، يَعْرِفُ أَنَّ الْجَهْلَ الْمَعَشَشَ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا،
هُوَ سِرُّ الْبَلَاءِ^(١) وَأَصْلُ الدَّاءِ^(٢).

لَا يَرْتَابُ^(٣) فِي أَنَّ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ هُوَ الدَّوَاءُ
الشَّافِي لِكُلِّ مَا يُعَانِيهِ الْوَطَنُ مِنَ التَّأَخُّرِ وَالتَّخَلُّفِ،
فَهُوَ الْمَصْبَاحُ الَّذِي يَنْبِذُ الْعُقُولَ وَيَقْوِي الْأَفْهَامَ،
يَقْضِي عَلَى الْخُرَاقَاتِ، وَيَحْطُمُ سَيِّئَ الْعَادَاتِ، وَيُبْعَثُ
الْحُرِّيَّةَ وَالشَّجَاعَةَ وَاحْتِرَامَ النُّفُوسِ، وَيَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ.

وكَانَ لَهُ مِنْ بَصِيرَتِهِ^(٤) النَّاظِةِ، وَتَجَارِيهِ الْوَاسِعَةِ،
مَا يُعِينُهُ عَلَى الْجِهَادِ، مِنْذُ نَفَعَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى الْكُتَابِ
وَالْكُتُبَةِ، وَمَا عَانَى^(٥) لَدَيْهِمْ مِنَ الْأَذَى الشَّدِيدِ، حَتَّى
نَفَرَ مِنْهُمْ وَهَرَبَ، وَأَبَى^(٦) أَنْ يَعُودَ.

(١) الْبَلَاءُ: الْمُحَنَّةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْمَرَدِّ (الْإِخْتِبَارِ).

(٢) الدَّاءُ: الْمَرَضُ.

(٣) لَا يَرْتَابُ: لَا يَشْكُ.

(٤) بَصِيرَتُهُ: نَظَرُهُ إِدْرَاكُهُ.

(٥) عَانَى: قَلَسَى.

(٦) أَبَى: رَفَضَ.

ثُمَّ تَجَرَّبَتْهُ فِي مَدْرَسَةِ قَصْرِ الْعَيْنِي وَمَآسِيهَا،
وَتَجَرَّبَتْهُ فِي مَدْرَسَةِ أَبِي زَعْبَلٍ، حِينَ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ مِنْ
بَعْضِ الْعُلُومِ شَيْئًا وَحَاوَلَ الْفِرَارَ.

وَكَانَ يَأْسُهُ جَدِيرًا بِأَنْ يُغَيَّرَ مَجْرَى ^(١) حَيَاتِهِ، لَوْلَا
إِنْقَاذُهُ عَلَى يَدِ الْمَعْلَمِ الْوَاعِي، الَّذِي عَرَفَ كَيْفَ يَشْرَحُ لَهُمُ
الْهَنْدَسَةَ وَالْحِسَابَ، فَاِنْطَلَقَ بِقُوَّةٍ، مُجِيبًا مَا كَانَ يَكْرَهُهُ،
حَتَّى بَلَغَ مَرَحَلَةَ التَّفَوُّقِ، وَاسْتَحَقَّ الْإِعْجَابَ وَالثَّنَاءَ.

يَعْرِفُ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى الْعُلُومِ وَحْدَهَا فِي التَّعْلِيمِ،
لَا يُثْمِرُ الثَّمَرَةَ الْمَرْجُوءَةَ مِنْهُ.

وَلَا بُدَّ مَعَ الْعُلُومِ مِنَ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ؛ لِإِعْدَادِ
النَّاشِئِينَ إِعْدَادًا سَلِيمًا لِلْحَيَاةِ الْجَادَّةِ ^(٢) الْمُسْتَقِيمَةِ.

وَيَرَى أَنَّ يَكُونَ التَّعْلِيمُ شَعْبِيًّا، يُطَلَّبُ لِدَاتِهِ ^(٣)
لَا لِتَخْرِيجِ الْمَوْظُفِينَ وَالْفُنَّيْنِ، كَمَا كَانَتْ أَغْرَاضُهُ مِنْ

(١) مجرى: طريق.

(٢) الجادة: الحققة.

(٣) يطلب التعليم لذاته: يطلب من أجل العلم والتثقيف، لا من أجل وظيفة أو ندوها.

قيل، وأنَّ المعلمَ الصالحَ القادرَ على أداءِ واجباته،
المستعدُّ بطبيعته لهذه المهنة الدقيقة هو الذي ينهضُ
بالبلاذ.

يعتقدُ بحقٍّ، أنَّ المدرسةَ لا تُؤتَى ثمرُها المرجوةُ
منها مع استكمالِ مقوماتها^(١)، إلا إذا ارتقى الشعبُ
معها، لتسيرَ القافلةُ التعليميةُ كلُّها متناسقةً^(٢)
الخطو^(٣)، فتبلَّغَ الهدفَ المنشودَ^(٤).

وعلى هذا الفهمِ الدقيقِ الواسعِ؛ وجَّهَ اهتمامه إلى
مراحلِ التعليمِ، وبخاصَّةِ التعليمِ الابتدائي، الذي
تُبْنَى على أساسه المراحلُ الأخرى.

تتابعتِ الأحداثُ بعدَ خلعِ الخيـو^(٥) إسماعيل
وتوليةِ ابنه توفيق مكانه. وزانتِ البلادُ أنيناً^(٦) من

(١) مقوماتها: أسياها التي تقوم عليها.

(٢) متناسقة: منظمـة مرتبة.

(٣) الخطو الخطوات.

(٤) المنشود: المأمول - المرجو.

(٥) خلع الخديو: عزله من الحكم.

(٦) انيناً: حزناً واما.

تدخّل الأجانب، وسوء الحال، وفساد الإدارة.. حتّى
اشتعلت^(١) الثورة العرابيّة، تطالبُ بالإصلاح
وإنصاف^(٢) المظلومين، واشترك فيها كثيرٌ من
الرجال من ضباط وغير ضباط، ولم يشترك فيها على
مبارك، لا بالانضمام إلى العرابيين ولا إلى توفيق،
ولزم الحياد^(٣) بين الطرفين المتنازعين.

فقد كان بطبعه هادئاً، مُتمهلاً في الوصول إلى
مطالبه، يسعى إليها في تأنٍّ^(٤) ورفق، لا يميل إلى
العنف والانفعال، بعيد الرؤية للأحداث ونتائجها،
يبتعدُ بقدر ما يستطيع عن المشكلات السياسيّة،
مفضلاً الحياة العمليّة، يبذل فيها أقصى جهده، شديد
السرور بما تنتهي إليه من نتائج طيبة.

(١) اشتعلت اشتدت وانتشرت

(٢) إنصاف: تحديد الحق لأصحابه.

(٣) الحياد: عدم التحيز لطرف دون الآخر.

(٤) تأن: تعقل، وضم.

يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّهُ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِخِدْمَةِ وَطْنِهِ، وَالْعَمَلِ
عَلَى تَرْقِيَّتِهِ، وَلَا شَأْنَ لَهُ كَثِيرًا بِالصَّرَاعَاتِ، الَّتِي
يُضَيِّعُ بَعْضُ النَّاسِ فِيهَا أَوْقَاتَهُمْ دُونَ فَائِدَةٍ.

كَانَ يَمِيلُ إِلَى الْعَرَابِيِّينَ، وَيُؤَافِقُهُمْ عَلَى فِكْرَتِهِمْ
فِي طَلَبِ حَقُوقِهِمْ، وَيُخَالِفُهُمْ فِي الْوَسِيلَةِ إِلَيْهَا،
وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ لِبُلُوغِهَا فِي هَوَاةٍ^(١)،
قُبِيلَ أَنْ يَعْلِنُوا الْخُرُوجَ وَاتِّخَاذَ الْقُوَّةِ سَبِيلًا إِلَى
مَطَالِبِهِمْ.

فَلَمَّا اتَّخَذُوا الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ وَلَا تُؤْمَنُ
عَوَاقِبُهُ^(٢)، لَمْ يَعْذُ يُنَاصِرُهُمْ، وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ مِنْ
الْإِعْتِدَالِ وَالتَّوَسُّطِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ خَصْمًا^(٣) لِأَحَدٍ.
ثُمَّ انْتَهَتْ الْحَرْبُ الْعَرَابِيَّةُ بِاحْتِلَالِ الْإِنْجِلِيزِ لِمِصْرَ،
وَقَدْ تَوَلَّى عَلَى مَبَارَكِ مَنَاصِبَ وَزَارِيَّةٍ عَنِيدَةً بَعْدَ خَلْعِ

(١) هَوَاةٌ: هُدُوءٌ وَبَطْءٌ.

(٢) عَوَاقِبُهُ: نَتَاجِجُهُ. وَمَقَرَّبَهَا: عَاقِبَةٌ.

(٣) خَصْمًا: عَدُوًّا وَنَدًّا.

الخيوي إسماعيل. ولم يتوان^(١) عن خدمة الوطن
حتى وصلته دعوة لا ترد.. دعوة إلى رحلة طويلة
ينهب فيها صاحبها ولا يعود.. وكان ذلك في الرابع
عشر من نوفمبر عام ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعين.
فكان لرحيله أنين وبكاء، اشتركت فيه مصر كلها،
وشيعته بما يليق بعظمة المجاهد المصلح، الذي
تعرف قدره الكبير، ولا يخلو مكان فيها من بصماته
المضيئة، الشاهدة بما أدّى لها من جلائل الأعمال.



(١) يتوان: يهمل ويضعف..

أسئلة الفصل الثامن

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) لعلّى مبارك رؤية فى التعليم – وضّحها.
- (٢) كيف وجه على مبارك اهتمامه بالتعليم؟
- (٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:
 - (أ) أسند إسماعيل إلى على مبارك ديوان المدارس. ()
 - (ب) التعليم يقضى على الخرافات، ويحطم سيئ العادات. ()
 - (ج) اهتم على مبارك بالتعليم الابتدائى فقط. ()
 - (د) نسى على مبارك قريته وظلت محرومة من التعليم. ()
- (٤) لم اشتعلت الثورة العربية؟
- (٥) مَنْ تولى الحكم بعد إسماعيل؟ وكيف كان حال البلاد أثناء حكمه؟
- (٦) لماذا لم يشترك على مبارك فى الثورة العربية؟
- (٧) ما موقف على مبارك من العربيين؟
- (٨) بم انتهت الثورة العربية؟

المراجعة العامة

أجب عن الأسئلة التالية:

(١) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة أو علامة (X)

أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

- بلغ عدد أسرة على مبارك حوالى ثلاثمائة. ()
- احترم الناس أسرة على مبارك لغناها وراثتها. ()
- ولد على مبارك فى عام ١٨٢٣م. ()
- كانت أسرة على مبارك محل تقدير من الحكومة. ()
- ولد على مبارك فى قرية «الكوم والخليج». ()

(٢) لماذا باع الشيخ مبارك كل ما يملك؟

(٣) فكر: من أنا؟

أكمل المربعات بالحروف لتكمل أسماء أصحاب المهن الآتية:

	ا		
	ا		
	ك		
	ض		
	ى		
	ى		

١ - أصلى بالناس.

٢ - أزرع الأرض.

٣ - أدير شئون الناس.

٤ - أفصل بين المتخاصمين.

٥ - أعلم الناس أمور دينهم.

٦ - أتحدث إلى الناس فى الجمع والأعياد.

(٤) لماذا كثر تنقل الشيخ مبارك؟

(٥) إلام انتهى الرحيل بالشيخ مبارك؟

(٦) تحدث عن موقف «عرب السماعنة» من الشيخ مبارك.

(٧) صل كل عبارة في المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
كانأت الحكومة أسرة الشيخ مبارك فأعطتها	الشرقية
ولد على مبارك في قرية برنبال بمديرية	التقير والاحترام
أقام الشيخ مبارك عند عرب السماعنة بمديرية	الدقهلية
نالت أسرة الشيخ مبارك من أهل القرية	قطعة من الأرض تزرعها
فر أجداد الشيخ مبارك من قرية	برنبال الجديدة
	الكوم والخليج

(٨) ما المظاهر التي جعلت الصبي مسروراً الكاتب؟

(٩) وضح الحقيقة المرة التي ظهرت للصبي عندما ذهب

إلى الكتاب.

(١٠) اقرأ الجملة الآتية قراءة جهرية سليمة، ثم اكتبها

مضبوطة بالشكل:

«فلم يجد في بيت هذا الرجل الهدوء الذي كان ينشده».

(١١) من خلال دراستك للنقصة أجب عما يأتي:

■ انكر موقفًا أعجبك، وبين سبب إعجابك به.

■ انكر موقفًا تأمل أن يختفى من حياتنا مطلقاً لما تقول.

(١٢) لم يكن الأب حكيمًا، ولا تربويًا في موقفه من ابنه
عندما أراد أن يجبره على العودة إلى كتاب الشيخ
أبي خضر. وضع ذلك.

(١٣) بيّن سبب كراهية الصبي للكاتب المعلم.

(١٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

■ بنى «عرب السماعنة» مسجدًا للشيخ مبارك وجعلوه

إمامًا لهم. ()

■ كان «عرب السماعنة» يسكنون بيوتًا مشيدة. ()

■ الشيخ «أحمد أبو خضر» يعود أصله إلى

قرية «برنبال». ()

■ كان الشيخ أبو خضر معلمًا تربويًا لللاميذه. ()

■ كان الكاتب المعلم يحسن معاملة الصبي أثناء

خروجهما للعمل. ()

(١٥) ما الرأي الذي استقرت عليه الأسرة عندما أراد على

أن يترك الكاتب المعلم؟ ولماذا؟

(١٦) قبل الصبي العرض الذي عرضه عليه أبوه عندما

رفض العودة إلى الكاتب المعلم. ما ذلك العرض؟

وعلام يدل موقف الصبي منه؟

(١٧) لماذا تعاطف السجان مع الفتى الصغير؟

(١٨) كيف استطاع السجان إنقاذ الفتى الصغير؟

(١٩) ماذا تفعل لو:

(أ) أجبرك والدك على فعل شيء لا تقبله؟

(ب) عملت مع إنسان يقبل الرشوة ليقضى مصالح الناس؟

(ج) عملت مع إنسان نظير مبلغ معين إلا أنه لا يعطيك إياه؟

(٢٠) ما المؤهلات التي جعلت المأمور يعين على مبارك في

الوظيفة الخالية؟

(٢١) ازداد على مبارك قناعة بالعلم وضرورة تحصيله.

علل لذلك.

(٢٢) يقسم المعلم تلاميذ الفصل إلى مجموعات صغيرة،

ثم يكتب على السبورة أسماء عشرة من رواد

الإصلاح، أو القادة السياسيين، أو العلماء البارزين...

ثم يقوم بإزالتها ويطلب من كل مجموعة أن تكتب

قائمة بما يمكن أن يتذكروه والمجموعة الفائزة هي

التي تتذكر أكبر عدد.

(٢٣) يقوم المعلم بتقسيم تلاميذ الفصل إلى خمس مجموعات:

(أ) المجموعة الأولى: تبحث عن الكلمات الجديدة في الفصل الأول وتذكر معنى كل كلمة منها.

(ب) المجموعة الثانية: تحدد الفكر الرئيسية في الفصل الثاني.

(ج) المجموعة الثالثة: تتخير أجمل العبارات مع بيان السبب.

(د) المجموعة الرابعة تذكر الدروس المستفادة من الفصل الثاني.

(هـ) المجموعة الخامسة تقوم بتشخيص بعض الشخصيات في الفصل الثاني وتجرى حوارًا من خلال موقف من مواقف هذا الفصل.

(٢٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة

(X) أمام غير الصحيحة:

(أ) عندما تقدم على مبارك لناظر المدرسة لتسجيل اسمه

() وافق بسرعة.

(ب) عندما علم والد على بخبر التحاقه بالمدرسة فرح

() فرحًا شديداً.

(ج) اختير على مبارك لمدرسة قصر العينى بالشدة

() والتهديد.

(٢٥) لماذا فضل على مبارك أن يأكل الجبن والزيتون عندما

كان بمدرسة القصر العيني؟

(٢٦) اختر من (أ) ما يناسبها من (ب):

(ب)

(أ)

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| بفضل المعلم الجليل وطريقته السهلة | - كان التلاميذ يكرهون المواد |
| لصعوبة طريقة شرح مدرسيهم | - أحب على مبارك الهندسة |
| للخروج من المدرسة | - كان على مبارك ممن اختبروا |
| للدراسة بمدرسة المهندسخانة | |

(٢٧) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

(أ) كانت الدراسة في البعثة باللغة (الفرنسية) الإنجليزية الروسية).

(ب) عندما صرف على مبارك مرتبه من البعثة (كان يكفيه فقط - كان يقطع منه لأهله - لم يكفه).

(ج) عندما طلب من الطلاب مساعدة غيرهم لفهم الدروس (رحبوا بذلك - بخلوا عليهم - طلبوا منهم نقودًا مقابل ذلك).

(٢٨) « لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس »..

اشرح ذلك في ضوء موقف على مبارك من البعثة.

(٢٩) لماذا لم يحقق على مبارك زيارته لبلاد أوروبا؟ وكيف

كانت حاله نتيجة لذلك؟

(٣٠) الكلمات المتقاطعة:

أفقي:

١ - الاسم الأول للعالم الجليل.

٢ - حيوان ضخيم (معكوسة).

٣ - قبض على.

رأسي:

١ - عكس جهل.

٢ - لنفي الاسم.

٣ - عكس يربط.

٣	٢	١	
			١
			٢
			٣

(٣١) كون جملاً مستخدماً الكلمات الآتية بشرط اختلاف

معنى الكلمة في كل جملة:

أمر:

طريق:

باحث:

حمل:

(٣٢) ما أهم ما تميز به علي مبارك من صفات ساعدته في القيام بأكثر من عمل.

(٣٣) « العلم والعمل » سلاحا التقدم. ما رأيك في ذلك في ضوء ما درست من هذه القصة؟

(٣٤) **كلمة السر:** بعد أن تتعرف على ما يُطلب منك سوف تحصل على كلمة السر.

ك	ب	ل	ع	ن	ا
ر	ث	ن	ا	ى	ظ
ل	ب	ى	ر	ا	ر
ك	م	ب	ا	ر	م

(أ) عكس «قليل».

(ب) مكان مولد العالم الجليل.

(ج) وزير في الماضي.

(د) والدته.

(٣٥) ما أثر اختيار إسماعيل للعالم الجليل علي مبارك علي المشروعات والأعمال؟

(٣٦) ما موقف على مبارك من الثورة العراقية؟ ولماذا؟

(٣٧) أكمل العبارة التالية بالكلمات التي بين القوسين:

(خلع - وزارية - دعوة)

«وقد تولى على مبارك مناصب عديدة، بعد

الخدو إسماعل. ولم يتوان عن خدمة الوطن

حتى وصلته لا ترد».

(٣٨) «الرجل الناجح الذى يتمهل فى الوصول إلى مطالبه».

(١) من صاحب هذا الرأى؟

(ب) ما أثر هذا الرأى على صاحبه تجاه الثورة العراقية؟

(٣٩) بالرغم من عرض على مبارك رأيه على العربيين إلا

أنه لم يناصرهم لأن ما نفذوه قد تعارض مع رأيه.

تخيل نفسك أمام نفس الموقف. فماذا كنت تفعل. اعرض

بعض الحلول الأخرى التى تراها غير الموقف الذى نفذه

على مبارك.

(٤٠) تصور أنه قد دار حوار بين على مبارك وواحد من

العربيين.. أجز هذا الحوار.

(٤١) طلب منك المدرس أن تكتب موضوعاً فيه رثاء لفقد

العلم الجليل على مبارك، فماذا تقول؟



(٤٢) العب مع المعلومات:

(العالم - الجليل - على - وزير التعليم).

* استخدم كل كلمة من هذه الكلمات في جمل مفيدة تعطى

معلومات عن شخصيات مشهورة مرت في تاريخنا العظيم.

مثال: العالم: العالم أحمد زويل من أعظم العلماء المصريين

في مجال النرة.

الجليل:

(٤٣) استخدم مرئية ثابتة على حرف T لإبراز أهم الأعمال

والأدوار البارزة لعلى مبارك.

واستخدم مرئية ثابتة على حرف C لتطور مراحل حياة

هذا العالم الجليل.

المحتويات

٣	تقديم
٧	الفصل الأول: عائلة المشايخ
١٧	الفصل الثاني: عزّة نفس وطموح مبكر
٣٥	الفصل الثالث: السّجين المقلوم
٤٣	الفصل الرابع: سرّ غامض
٦١	الفصل الخامس: في فرنسا
٧٣	الفصل السادس: وزير التربية والتعليم
٧٩	الفصل السابع: صعاب وعقبات
٩٣	الفصل الثامن: أبو التعليم
١٠١	المراجعة العامة



رقم الكتاب	مقاس الورق	ورق المتن	ورق الفلاف	أنوان الكتاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الملازم	مقاس الكتاب
٨٠/١٠/١/٣٣/٦/٦٤	$\frac{1}{16} \times 94$ سم	٧٠ جرام	١٨٠ جم كوتيد	المتن والفلاف ٤ لون	١١٦ صفحة بالفلاف	٧ ملازم	$22,5 \times 15,25$ سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالساحل من اكوير

رقم الإيداع: ٩١٤٣ / ٢٠٢١

العام الدراسي: ٢٠٢١ / ٢٠٢٢ م



حقوق الطبع والنشر © محفوظة للناسر

- اغسل يديك قبل الأكل وبعده.
- الرياضة تقوى الجسم وتنشط العقل.
- اعتن بنظافة جسمك وملابسك وبيتك ومدرستك.
- الصدق والأمانة من الصفات الحميدة التي يجب أن تتحلى بها.
- يمكنك الوقاية من البلهارسيا بعدم الاستحمام فى الترغ أو استعمال المياه الملوثة بالديدان الناقلة للمرض.
- استذكر دروسك أولاً بأول، ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
- أمراض العيون المعدية يمكن تجنبها بالحرص على غسل الأيدي والوجه بالماء والصابون بصفة منتظمة.
- لا تتكلم فيما لا تعرف، ولا تتدخل فيما لا يعنك.
- الأشجار والزهور من نعم الله .. فحافظ عليها ولا تعبت بها.
- استيقظ مبكراً ونم مبكراً.
- نظافة مدينتك أو قريتك عنوان لك أمام العالم، والنظافة من الإيمان.

<http://elearning.moe.gov.eg>

رقم الكتاب	مقاس الورق	ورق الغلاف	ورق الكتاب	الوان الكتاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الملائم	مقاس الكتاب
٨٠/١٠/١٣٣/١/١٤	١/١٦ × ٩٤ سم	٧٠ جرام كرشه	١٨٠ جرام كرشه	الحن والغلاف ٤ لون	١١٦ صفحة بالغلاف	٧ ملازم	٢٢,٥ × ١٥,٢٥ سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر

